وزارة التـــــعـليـم العـــــالي والبـــــــحث العـــلـمـــي

جـــــامعة أبي بكـــر بـلـقـايد– تـلمســـــــان–

كلية الآداب و اللغات

قسم الفنون

مذكرة تخرج

مقدمة للحصول على شهادة الماستر

في: الفنون البصرية

بعنوان

السمات الجمالية للعمارة المرينية بتلمسان

مسجد سيدي بومدين أنموذجا

من إعداد الطالبين :

- **بوطريف سعيد**
- **بوقطيب ياسين**

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

- **رحوي حسين**

أعضاء اللجنة المناقشة

السنة الجامعية

2019/2018

كلمة شكر

عملا بقول الرسول صلى عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

نشكر الله تعالى على توفيقه لنا لإنجاز هذا البحث.

يسعنا ويشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساهم معنا في إنجاز هذا

العمل، سواء من قريب أو من بعيد.

ونخص بالذكر الأستاذ القدير:رحوي حسين ، المشرف على بحثنا،

فلم يبخل بتوجيهاته ونصائحه علينا، ولم يتوانى في تقديم أرائه الصائبة لنا،

حتى تم إنجاز هذا العمل. وكذلك الأساتذ: راضي محمد الذي ساعدنا هو كذلك في اتمام هدا العمل

وتحياتنا إلى كل أساتذة وطلبة وعمال قسم الفنون بجامعة

تلمسان

"والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"

الإهداء

❖ اهدي ثمرة هدا العمل البسيط الى الروح الطاهرة لأمي رحمها الله وكذلك للجدتي رحمها الله التي كانت الام و بيت ومعلمة "فاللهم اغفر لهما و ارحمهما و أدخلهما فسيح جناتك.

❖ إلى أبي بوطريف سليمان و زوجة أبي بريشي فاطمة ، وأخي بوطريف فوضيل ،وأخي بوطريف أحمد وزجتوه مباركي علجية ،وا لى ولديهما إلياس و كتكوة حنين،الى اختي الغالية أسماء وزجها الحاج سعيد رشيد، و ابنهما معتصم بالله بومدين ، دون نسيان الغالية علي و العزيزة على نفسي إبنة اختي أمنة وصال .

❖ و الكل عائلتي الكريمة.

❖ والى الاصدقاء الغالين علي ابن عمتي ميموني عبد الرزاق والصديقين الحميمين حاسي ياسين وبن كروان مهدي .

❖ وكل من راضي محمد ، كرد محمد، ديدي أحمد علي، بالحاج نبيل ، ادينة اسحاق.

❖ الى أصدقائي غرداين عبد الحق، الشيخ ميلود نسيم،وكل اصدقائي بالجامعة داعيا من الله التوفيق لهم في المسار المهني.

❖ والى كل من يعرفني و لم أذكر اسمه .

الإهداء

اهدي ثمرة عملي المتواضع إلى أبي بوقطيب محمد و أمي مودر سامية وكل إخوتي بوقطيب العربي وبوقطيب شهلة والى أخي الصغير خليل و أختي الصغيرة رحمة حفظهم الله الذين دعموني كثيرا والي كل عائلتي سواء من قريب أو من بعيد و إلى أصدقائي الأعزاء الكل من عبدلي حمزة ومحمد زايدي و جمال بن زلاط و محمد سليماني و محمد بن زلاط و إلى أصدقائي في الجامعة حجازي توفيق و غردا ين عبد الحق و شيخ ميلود نسيم و الهاشمي عبد المجيد و إلى صديقي في انجاز العمل بوطريف السعيد والى كل من يعرفني ولم أذكر اسمه سواء من قريب أو من بعيد.

ا

المقدمة

تعتبر العمارة الإسلامية المرينية عنصرا من عناصر الحضارة ، لأنها تكشف لنا عن مستوى التفكير الإنساني و التطور الذي وصلت إليه ، وعليه لعبت العمارة الإسلامية المرينية دورا كبيرا في تبيان روح الحضارة الإسلامية. و بالرغم من الصراع الشديد الذي كان موجودا بين بنو مرين و بني زيان في ذالك العهد فان هذه المرحلة التاريخية لم تكن مرحلة صراع و حروب فقط ، بل كانت مرحلة ازدهار حضاري و نشاط فني و معماري . حيث اهتم سلاطين بنو مرين بالفن و العمران فأسسوا مدينة فآس الجديدة ، كما شيدوا المساجد و المدارس و القصور وذلك بمختلف مدن المغرب الأقصى ، بل امتد نشاطهم المعماري إلى المغرب الأوسط . فشيدوا مدينة المنصورة بالقرب من مدينة تلمسان أثناء حصارهم لها،

وبعد احتلالهم لها ، شيدوا بضواحيها مجمع سيدي أبي مدين بالعباد و الذي يعد من أجمل الأمثلة عن الفن الإسلامي بالمغرب الأوسط .

وبناءا على ما سبق فان هذا الموضوع يطرح عدة إشكاليات لعل أهمها ما يلي :

1- إلى أي مدى وصلت العمارة المرينية في تلمسان إبان الدولة المرينية؟
2- ماهي الخصائص الزخرفية للعمارة المرينية بمسجد سيدي بومدين؟

- الفرضيات:

1- لم تأتي الدولة المرينية بالجديد للعمارة الإسلامية بتلمسان.

2-تمتاز الزخارف في العهد المريني بالتعقيد و كثرة الألوان.

-أسباب اختيار الموضوع:

لا شك أن اختيارنا لهذا الموضوع يرجع لعدة أسباب، منها أسباب ذاتية، و أسباب موضوعية.

- الأسباب الذاتية :

* الرغبة في اكتشاف مدى التأثير الدولة المرينية و الأثر المعماري الذي تركته في مدينة تلمسان .

* سهولة الوصول إلى المعلم الأثري،(سيدي بومدين).

- الأسباب الموضوعية :

* القيمة الأثرية و الفنية لمسجد سيدي بومدين .

* أهمية الدولة المرينية و ما خلفته من تطور عمراني في مدينة تلمسان.

- الصعوبات:

لعل الصعوبات التي واجهتنا في دراستنا هذه مايلي:

- انهيار و تخريب بعض المعالم الأثرية في مجمع العباد، مما صعب دراستها.
- الجانب المادي، وذلك من خلال صعوبة توفير المال من أجل مصاريف التنقل إلى المعلم الأثري، ومصاريف البحث.
- بعد المسافة بين الباحثين ، الذي اثر ولو بالقليل في التنسيق في عملية البحث.

- أهداف الدراسة:

- الهدف من دراستنا هذه هو تسليط الضوء على العمارة الإسلامية عامة، وإعطاء نظرة حول الآثار التي خلفتها الدولة المرينية بتلمسان،و توضيح الصورة الجمالية لمسجد سيدي بومدين خاصة ،و ما يمتاز به من زخارف متنوعة.

- المنهج المتبع :

للوصول إلى مبتغانا اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي ، والذي يقوم على وصف تحليل الموضوعات الزخرفية التي اتسمت بها العمارة

المرينية ، كما اعتمدنا على المنهج التاريخي وهذا ما يظهر جليا في الدراسة التاريخية للدولة المرينية و تطور العمارة فيها.

- ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على خطة البحث التالية:

- المقدمة ،وهي عبارة عن تعريف شامل للعمارة الإسلامية عامتا، وللحضارة المرينية و المعالم التي شيدتها بمدينة تلمسان خاصتا، وجاء الفصل الأول موسوم بماهية العمارة الإسلامية و خصوصياتها، حيث اندرج تحته ثلاثة مباحث ، جاء المبحث الأول معنون بماهية العمارة الإسلامية، أما المبحث الثاني فجاء معنون بنشأة العمارة الإسلامية، أما بالنسبة للمبحث الثالث فجاء معنون بخصوصية العمارة الإسلامية.أما الفصل الثاني فجاء موسوم بالعمارة المرينية ، حيث اندرج تحته ثلاثة مباحث ، بالنسبة للمبحث الأول فمعنون بانتشار و إنشاء الدولة المرينية ، أما المبحث الثاني فمعنون بنسب بني مرين، و المبحث الثالث فبعنوان العمارة المرينية.أما بخصوص الفصل الثالث فجاء موسوم بمسجد سيدي بومدين، حيث اندرج تحته ثلاثة مباحث ، جاء المبحث الأول معنون بمدرسة و قصر العباد، أما المبحث الثاني فبعنوان مسجد سيدي بومدين ، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان ضريح سيدي بومدين.وجاءت الخاتمة عبارة عن ملخص عام للدراسة ، إضافتا إلى ملحق الصور التوضيحية للعمارة الإسلامية والعمارة المرينية و مسجد سيدي بومدين ، وفي الأخير قائمة المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها من اجل الدراسة.

الفصل الأول:

ماهية العمارة الإسلامية وخصوصيتها

ماهية العمارة الإسلامية وخصوصيتها :

- ماهية العمارة الإسلامية.

- نشأة العمارة الإسلامية .

- خصوصية العمارة الإسلامية.

لقد ارتبطت العمارة بالإنسان بوصفها عملا معبرا عن ثقافته، فمنذ وجوده على سطح الأرض سعى في تكييف الطبيعة لسد حاجته الجسدية والروحية، فالعمارة تحديدا نشاط ثقافي لا يكن فهمه، والتعامل معه دون فهم الثقافة الحاضنة له، وقبل أن نستعرض التاريخ نشأة العمارة الإسلامية ، لا بد من الكشف عن ماهيتها لغة واصطلاحا.

1-ماهية العمارة الإسلامية:

أ-العمارة لغة: مأخوذة من فعل عَمَّرَ والعُمْرُ بالفتح وبالضم وبضمّتين، يقال طال عَمْرُهُ وعُمُرُهُ لغتان فصيحتان، فإذا أقسموا لعَمرك أي فتحوا، والجمع عُمُرٌ، والعَمْر والعُمْر اسم لمدة عِمَارَةِ البدن بالحياة، فهو دون البقاء. قال تعالى في محكم تنزيل: " لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون".[2](2) وعن ابن عباس في قوله تعالى: ط" لعمرك أي لحياتك، وقال ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة النبي(ص).

وعَمَّرَهُ الله وعَمَرَهُ: أبقاه، وقوله تعالى: "ما يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ نفسه قدّر، ولا ينقص من عُمُرِهِ إلا في كتاب[3]. وقال القراء ما يطول من عمر معمّر ولا نقص من عمره.

(1) محمد بن محمد الحسيني، تاريخ العروس في الجوهر القاوس، ج13، دار الهداية، بيروت ، ص 133.

(2) سورة الحجر، الآية 72.

3 سورة فاطر، الآية 11

والعُمْرَى: مت تجعله للرجل من طول عمرك أو عمره، وفي الحديث النبوي الشريف: "تَعْمُروا ولا ترقبوا، فمن أعمر دارا أو أرقبها فهي له، ولورثته من بعده"[1].

وعُمْرِيُ الشجر قديمه، نسب إلى العمر، وقيل هو العُبْرِيُّ من السدر والميم بدل، ومنه قول دي الرمة:

قطعت إذا تجوفت العواطي ضروب خفيف السدر عُبْرِيًا وصالا.

الله منزلك عَمَارَةً وأَعْجَلَهُ أَهلاً[2]، والرجل ماله وبيته عِمَارَةً وعَمُورًا: لزمه ومكان غَامِرٌ: لم تعمر الأرض وأَعْمَرَتْ عَامِرٌ وثَوْبٌ عَمِيرٌ أي خَرِبَتْ ثالخراب عَمَارَةٌ هو عَامِرٌ أي مَعْمُورٌ ورَوْعٌ[3] مَعْمُورٌ الرجل ماله وبيته مَارَةً وعَمُورًا وعُمْرَانًا: لزمه، وأنشد أبو حنيفة في صفة النحل:

أدام لها العضرين ريا ولم يكن كما ظن عن عُمْرَانِهَا بالدراهم[4].

وقوله تعالى: "والبيت المعْمُورِ "[5]. جاء في التفسير أنه بيت في السماء بإزاء الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون منه ولا يعودون إليه[6].

وعُمَرَ عِمَارَةً، الأخيرة عن سبوية، وأَعْمَرَهُ المكان واسْتَعْمَرَهُ فيه، جعله يَعْمُرُهُ، قال: "هو أنشأكم من الأرض واسْتَعْمَرَكُمْ فيها"[7] أي أذن

2 رواه ابن ماجه والنسائي.

2 ابن المنظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، طبعة 3 ، سنة 1414هـ ، ص 404 .

4 ابن المنظور، المصدر السابق ،ص 604 .

4 علي بن سيده المرسي، المحكم و المحيط الاعظم ،ج02، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، طبعة 1، سنة 2000م ، ص 756 .

5 سورة الطور، الاية 04.

6 إسماعيل بن حماد الفرابي ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العرب ، جزء 2 ،دار الملايين ،بيروت ،طبعة 4، 1987،ص 756.

7 سورة هود، الاية 61.

لكم في عَمَارَتِهِ قوامكم وجعلكم عَمَّارَهَا، والمعْتَمِرُ : المنزل الواسع من جهة الماء والكلأ الذي يقام فيه، قال طرفة يصف الطلل: من قبرة بمَعْمَرِ [1].

والعَمَائِرُ الحَيَّةُ العظيم تنفرد بضغنها وإقامتها ونجعتها، وجمعها عَمَائِرُ ومنها قول جرير:

يجوس عَمَارَةً ويكف أخرى لنا حتى بجوازها دليل[2].

قال الجوهري: العَمَارَةُ القبيلة العشيرة ، قال الأخنس بن شهاب:

لكل أناس من معد عَمَارَةٌ عروض إليها يلجئون وجانب[3].

والعَمَائِرُ جمع: عِمَارَةٍ، بالكسر والفتح.

والعَمْرُ : لحم من اللثة سائل بين كل سنين، وفي الحديث" أوصاني جبريل لسواك حتى خشيت على عَمُورِي". والعُمُورُ : منابت الأسنان واللحم، الذي بيم مغارسها الواحد عَمْرٌ بالفتح، قال ابن الأثير: قد يضم، قال ابن أحمد:

كان الشباب أخلف العَمْرُ وتبدل الإخوان والدهر[4].

والجمع عُمُورٌ ، وقيل كل مستطيل بين سنتين عَمْوٌ، وامِرُ : الحيات التي تكون واحدها عَامِرٌ ، وعَامِرَةٌ ، وقيل سميت بذلك لطول عمرها، والعَوْمَرَةُ : الاختلاط، واليَعْمُورُ : الجدي، قال ابن زيد الطائي:

ترى لأخلفها من خلفها نسلا مثل الذميم على قرم اليَعَامِيرِ [5].

والعَمْرَانُ طرفا كمين، وفي الحديث:" لا بأس أن الرجل على عَمَرَيْهِ ". بفتح العين والميم[1].

1 مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، القاهرة ، ص 626.
2محمد بن أحمد الأزدي الهروي ، تهديب اللغة ،جزء 2 ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،طبعة 1 ،2001، ص 234.
3 تقي الدين الدقيقي المصري ، اتقاق المبانى و اتفاق المعاني ،دار غمار، الاردن ،طبعة 01،1985م،ص219-220.
4 ابن منظور،المرجع السابق، ص606.
5 نفس المرجع السابق ، ص606.

أ- العمارة اصطلاحا:

في البداية يجب أن نقر لأن لكل فترة تاريخية خصوصيتها المعتمارية، ولا يوجد صيغة خصوصية، تنطبق على حالة معينة لكل العصور والأزمان، وعلى سبيل المثال العمارة المصرية القديمة، فبالرغم من أن عمر ها قد يربو على ثلاثة آلاف سنة، وأن رسم الخطوط للعمارة المصرية بدقة لا يبتعد عن الواقع[2]، فقد بنا المصريون المقابر والمعابد بسبب المعتقدات الدينية وتقديسهم للآلهة وثقتهم بعودة الحياة إلى الجسد بعد الموت، وكانت عمارتهم متجهة نحو السماء.

ولقد بينت الدراسات للأهرام سر عظمة العمارة، كما يلاحظ ذلك في الأبهية في إخراجها والدقة المتناهية، وفي تكونها العام، بجانب ما يستطيع الوصول إليه بالفحص والتحليل من بعض ما بلغه المصريون من التطور كبير في علمي الهندسة والرياضيات[3].

كما قامت المعتقدات الدينية بدور مهم في العمارة اليونانية غير أن ذلك تم تجسيده بطريقة مختلفة، كان الجسم الإنساني موضوع رئيسيا في العمارة، فازدهر عندهم علم النحت إلى درجة قل نظيرها في التاريخ العمارة، فأصبح العمود اليوناني ينحي من الأعلى إلى الأسفل بع تجميع حجارته الواحدة فوق الأخرى، كما صور الناحتون اليونانيون الآلهة على أشكال بشرية كاملة الأوصاف ونصبوها في معابدهم في أماكن تم اختيارها لتوافق مع معتقداتهم الدينية، وأتى المعبد اليوناني في التفاصيل المعطيات الثقافية والدينية والفكرية والبيئية لديهم[4]، وهذا ما أدى

1 نفس المرجع السابق ،ص 607.
2هاني محمد القحطاني ،مبادئ العمارة الاسلامية و تحويلاتها المعاصرة ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،طبعة 01،2009م، ص21.
3 احمد موسى ،الفن المصري ،مجلة الرسالة ،العدد192،ص63
4 هاني القحطاني ،نفس المرجع السابق ، ص22.

بريمون بابير بالاعتقاد: " أن العمارة المنبع الأصلي للفنون الأخرى التي تجلت نشأتها على الجدران المعابد[1].

أما الرومان فقد وظفوا الموروث المعماري اليوناني بطريقة مختلفة، حيث مالوا فيه إلى النزعة المجتمع المدنية ذات فراغات ضخمة لتستوعب أعداد كبيرة من الناس، مثل : المسارح والمكتبات، والأسواق، والحمامات ودور القضاء والتسلية، والملاعب الرياضية. جلبوا الماء من أماكن بعيدة فوق قناطر متعددة الأدوار، فكانت العمارة الرومانية " عمارة مبان مدنية" صاحبتها أنظمة إنشائية متقدمة، يعتبر القوس أهم عناصرها فعكست حياة المجتمع والدولة والعصر الذي أنشأت فيه[2].

فالعمارة بمفهومها الحضاري هي:" أكثر النشاطات بالتجسيد الوقع الحضاري للأمة، كأنها تقوم بتحديد النمط الحياتي، والسلوكي خلال تأثيرها المباشر على البيئة البشرية وعكسها للمفاهيم والرموز المادية والمعنوية في أية فترة تاريخية "[3].

والعمارة علم يتكون من شقين نظري وتطبيقي، فالنظري يقوم بإثبات صحة ودقة النسب المتوخاة، والتطبيقي يعالج الفكرة بالممارسة[4]، وللعمارة ارتباط وثيق بالمعطيات والوضع الطبوغرافي، ويمتد ليشمل المنظر الإجمالي للمحيط، كما يراعي الظروف المناخية، ويلجأ إلى الاستخدام خامات ومواد البناء الأصلية التي يسهل تحديدها في داخل كل حضارة محلية، والأبعاد الموجودة في نطاق الاهتمام في و الإفادة منه، والتفكير في التعامل مع نوعية البناء فيما يتعلق

[1] عبد المعطي محمد ، الابداع الفني وتذوق فنون الجميلة ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،ص96.
[2] هاني القحطاني ،نفس المرجع السابق ،ص 23.
[3] محمد حسين جودي، العمارة السلامية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان،طبعة01، سنة 2007،ص 27.
[4] العمارة الدينية بالمغرب العربي، رسالة دكتوراه دولة ، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، سنة 2000، ص 85.

بمعطيات الثقافية والاجتماعية والبيئية[1]. إذا العمارة القديمة:" ما هي إلا شكل من الأنماط لتلبية حاجات الإنسان المختلفة واستجابة لممارسته الاجتماعية[2]، فإن العمارة الحديثة تتجه إلى تيارين رئيسيين متقطعين هما : التيار الدولي والتيار المحلي.

التيار الدولي فهو ذو طابع إجمالي وتوحيدي ودولي: بدأ يدعوا إلى التخلص والتحرر من أساليب العمارة الكلاسيكية، وربط عرى التقارب والتشابه بين مختلف المجموعة الإنسانية في العالم، وخاصة في مجالات البيئة العمرانية، في كافة المستويات في المدينة حتى إلى أصغر التفاصيل الأبنية المنفردة، وموادها الإنشائية وطرق تركيبها وتشييدها، أصبحت لها لغة خاصة في التصميم المعماري، ومصطلحات نقدية تقيمية محددة، فلابد أن المجتمعات الإنسانية بغض النظر عن خصائصها الجغرافية والبيئية أن تخضع وتشترك جميعها في نمط معيشي موحد وفي بيئات متشابهة نتيجة حتمية عقلانية واقتصادية للدور الذي تلعب التكنولوجيا الحديثة في تحرير الإنسان، والمصمم المعماري يجب أن يتحرر من القيود الطبيعية والإمكانات الإنشائية والتنفيذية، المحدودة التي كانت تشكل عقبات كبيرة في طريق التقدم الإنساني[3].

التيار المحلي: ويميل هذا التيار إلى الحفاظ على المحلية القومية في الفن والعمارة، والشوق والحنين إلى الماضي وأيامه الذهبية، والوقوف أمام ما جاءت به التكنولوجيا الحديثة من مشاكلبيئية وا إنسانية واجتماعية[4].

---

[1] Phlilippe Bouden, Architecture et Architecturelogie, ParisK 1975,p98-90.

[2] بلحاج معروف، العمارة الإسلامية مساجد ميزاب ومصلياته الجنائزية، دار قرطبة، الجزائر، ط01، سنة 1428هـ/ 2007م ص 16.

[3] محمد حسين جودي ،نفس المرجع السابق ،ص29-30.

[4] نفس المرجع السابق ،ص30-31.

أما تسمية العمارة الإسلامية فتنطلق على:" كل ما يبنى على وجه الأرض بالهدف التنمية العمرانية التي تسعى إلى خدمة الفرد والمجتمع، وتستجيب لكافة متطلباته، السكنية وا إدارية والثقافية.... الخ، ولا تتعارض مع العقيدة الإسلامية[1]، وانتشرت هذه العمارة في المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى الصين شرقا، ويكفي النظر إلى الإسلام طبع مظاهر الحياة العمرانية بتأسيس المسجد الجامع كنواة لجميع المدن الإسلامية، مركزا لتخطيطها واتساعها، وموضعا للتطور والتوسع الذي يتماشى مع اتساع المن وكثرة عمرانها، وموضعا لإبداع المهندسين في التخطيط فقد فرضت الصلوات في المساجد ودون غيره[2]، وهذا ما جعل ارنست كونل يعترف:" أن الإسلام قضى على الفوارق الناشئة على خلاف الأجناس والتقاليد وعني بالتوجيه الفكر والأدب، والعادات والتقاليد في مختلف البلاد، وكان الأمر بنشر القرآن بلغته العربية وحدها، مما جعل لها وللتعاليم القرآني سيادة مطلقة في العلم الإسلامي، فكان ذلك في مقدمة العوامل التي أدت إلى ابتداع كثير من الفنون وازدهارها[3].

ورغم أن الفن العمارة قديم النشأ مع الإنسان منذ وجد، وتطور مع وسائل حياته عبر القرون ، لما جاء الإسلام صاغ حياة المسلمين وفق منهجية، تدخل في كل صغيرة وكبيرة، ليشرد إلى السبيل الأقوم، وكان لابد أن يظهر أثره في كل جوانب الحياة الاجتماعية، في أسلوبها وشكلها، في المدينة والمسجد والمسكن والطريق...

---

[1] المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية، مصر، ص 64.

[2] عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج01 ، ط01، سنة 1992، ص 118-119 .

[3] أرنست كونل، الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، دار الصادر، بيروت، ط02، سنة1966م، ص 101.

وقد أدى فن العمارة وظيفة، بدء من تلبية الضرورات، ووصولا إلى التحسينات والجماليات، استكمال حاجيات وكان الأثر الإسلامي في هذا الفن عظيما في كل جوانب وخاصة في التصميم والتوزيع والزخرفة والتزيين[1].

وتميز العرب والمسلمون في الفن العمارة أكثر من أي مجال فني آخر، فقد كانت الأبنية هي أول الأمر وسيلة عبر فيها المسلم عن أفكاره وعقيدته، لكونها ضرورة في الحياة المسلم، ولهذا أودعها خلاصة أفكاره ومشاعره، وشيئا فشيئا أصبحت يسخر باقي الفنون لخدمة العمارة الإسلامية مثل الفسيفساء النقش على الخشب، الخط العربي، النقش على المعادن وغيرها[2].

2- نشأة العمارة الإسلامية:

لقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن العرب البدو الرحل لم يكن لهم نشاط يذكر في العمارة قبل الإسلام، ويبدو أن قاسما من أبحاثهم ومؤلفاتهم، واستنتاجاتهم يغلب عليها طابع التحيز لغير العرب، بل لم تكن لهم عمارة خاصة بهم تستحق الذكر، وأن كثيرا من أساليب العمارة انتقلت إليهم عن أمم غير إسلامية[3]،فكانت دراستهم تخلوا من الاهتمام بالعمارة العرب قبل الإسلام وبعده.

والحقيقة أن العرب قد استوطنوا مناطق عديدة في شبه الجزيرة العربية، وأقاموا حضارات لها معالم وخصائص عربية، وهذا ما تشير إليه الدلائل الأثرية منذ العصور الحجرية، ونذكر على سبيل المثال الآثار الباقية الشاخصة في

[1] صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي ، دار العلم ، دمشق، ط01، سنة 1410هـ/1990م،ص 287-288.

[2] عكاشة، العامرات الإسلامية، مصر، بردي للنشر، الجيزة، سنة2008م، ص21

[3] كريشي أرنولد بيجز، تراث الإ ّ سلام في الفنون الفرعية والتصوير، ترجمة: زكي محمود ، دار العربي، دمشق، ط01، سنة1984م، ص112.

الحجر ذات الوجهات المعمارية الضخمة والمنحوتة، ومدينة البتراء قرب العقبة بالأردن ومديان ومؤاب الجارتان الجنوبية والشمالية لأدوم[1].

لقد شكل الطراز المعماري العربي في القصور الحيرة[2]، مثل الخورنق والسدير نمطا معماريا مستحدثا، أي لم يكن معروفا من قبل يسمى بالحيرى، يذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب أن :" أحد الملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنيانا دفي دار قراره هي الحيرة، على صورة الحرب، وهيئته للهجته بها، وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكره في سائر أحواله، فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة"[3].

ولما اعتنق العرب الإسلام بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، شهدت العمارة الإسلامية مولدها في المسجد الرسول (ص) بالمدينة، وكان لوحدة العقيدة الدينية في مختلف مناطق العالم الإسلامي شرقا وغربا بما أشاعته من روح العدالة والإنصاف ونبذ فوارق الجنس واللون، وما دفعت إليه من أمعن للنظر وا ٍرهاف للحس، وما استهدفته من نوايا حضارية جليلة بتشريف الصناعة والصانع، وتوجيه للفكر والفن ودون تمييز لطبقة أو الجنس كان له أثر كبير في امتزاج الحضارة وتميز العمارة والفنون الإسلامية بكافة بقاع الدولة الإسلامية، بطابع موحد في التفكير والذوق والإبداع رغم بعض الفوارق المحلية[4].

يعد المسجد الذي بناه الرسول (ص) في المدينة سنة 122م وجعل جدرانه من اللبن، وسقفه من جريد النخل، سواريه من جذوع النخل(40). النموذج الأول

---

[1] محمد حسين جودي ، نفس المرجع السابق، ص 84-50.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج02، دار الصادر، بيروت، ط02، سنة 1995، ص32-34.

[3] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج02، القاهرة، سنة 1948، ص 369.

[4] عثمان اسماعيل، نفس المرجع السابق ،ص141.

لسائر المساجد الأخرى من حيث العناصر التخطيطية، فقد حدد المخطط لمسجد المستقبل بأجزائه الأساسية وهي الصحن والواسع جدا، والحرم ذو الأعمدة الذي يحاذي الصحن، ويكون مسقوفا وامتدادا له من جهة القبلة ، قد أضيف إلى حرم المحراب.

أما المنبر استعمل منذ عهد الرسول (ص) ،فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه:" كان الرسول (ص) يوم الجمعة يخطب في المسجد قائما، فقال تميم الداري"[1]،: " ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام، فشاور الرسول (ص) المسلمين في ذلك ، فرأوا أن يتخذه، فقال العباس بن عبد المطلب: لي غلام يقال كلاب أعمل الناس، فقال الرسول (ص) : مره يعمله، فأرسله إلى أثلة بالغابة فقطعها، ثم عمل منها درجتين ومقعدا، ثم جاء به فوضعه في موضعه اليوم، فجاء الرسول (ص)، فقام عليه، وقال: منبري هذا على ترعة من ترع الجنة، وقوام منبري رواتب في الجنة، منبري على حوضي، وقال: مابين نبري وبيتي من رياض الجنة"[2].

ولما قويت دولة الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين وظهرت الفتحات الإسلامية شرقا وغربا، دخل في الإسلام مختلف أبناء الشعوب البلدان المفتوحة، وظل الإسلام في تلك الفترات الأولى عقيدة تهتم بالجانب الروحي، وانشغل الخلفاء الراشدون بنشر الإسلام، وظلت الروح الزاهدة البسيطة الخالية من الزخرفة هي

[1] نور الدين السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، سنة 1419هـ، ص 257-259.

[2] عفيف بهنسي، فن الإسلامي في بداية تكونه، دار الفكر، ط01، سنة 1413هـ/1983م، ص14.

الغالبة على العقل ونفس المعماري المسلم، فجاءت النماذج المعمارية مشابهة من حيث بساطتها لأبنية عصر الرسول[1] .

ولما استقر الإسلام في عهد بني أمية، وبلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساع لها اقتبس المسلمون من فنون التي سبقتهم كالفن الساساني والبيزنطي والروماني والقوطي، وذلك لقلة التقاليد الفنية، فاقتبس الأمويون من فنون البيزنطية التي وجدوها طرازا فنيا خاصا، وهذا حال الحضارات التي تتأثر فيما بينها، فلا يمكن لأي فن أن ينشأ من العدم، فلا بد أن يستفيد الفن المستحدث من خبرات السابقين[2].

ويتميز الطراز الأموي أنه ذو طابع دولي، انتشر في كل الأقطار التي خضعت لسلطان الدولة الأموية، من حدود الهند شرقا إلى الأندلس غربا، وقد وقع البناء والتشييد في عهد الأموي تحت تأثيرات محلية متشابهة تتصل بالفن الهيلينيستي الشرقي والبزنطي والفن الساساني، ويلاحظ على هذا الفن أنه كان قريب الشبه بالفنون السابقة على الإسلام لأنه قريب العهد بها، وا ٍن غلبت النواحي الإقليمية على مخلفات هذه الدراسة، فمثلا المباني التي شيدت في الشام ظهرت فيها مسح بيزنطية أقوى من تلك التي بنيت في العراق ذات المسحة الساسانية، ومن أهم عناصره التخطيطية و المعمارية أن مساجده كانت مستطيلة الشكل تتكون من الصحن مكشوف متجه إلى الشمال الغربي محاط بأروقة من ثلاث جهات أو أربع، يكون الرواق المتجه إلى الجنوب الشرقي واسعا ومسقوفا يدعى بالحرم، أما وضع المئذنة فإنها كانت تنصب في منتصف الجدار الشمالي، وكانت بلاطة

[1] علياء عكاشة، العمارة الإسلامية في مصر، المرجع السابق، ص21.

[2] محمد نويصر، الآثار الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، سنة 1997، ص 7.

المحراب أوسع من بلاطات الأخرى تعلوها قبة، واستعملت هذه المدرسة المقرنصات،والأقواس كانت مدببة أو حدوية الشكل. ومن منجزات هذه الطراز نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الجامع الأموي في دمشق، وقبة الصخرة في القدس، والجامع الأزهر في القاهرة والمدرسة العادلية والظاهرية في دمشق، وقلعة حلب[1].

ثم قانت الخلافة العباسية في العراق (132هـ-656مـه) وفي ظل هذه الدولة نضج الفن الإسلامي، وأصبحت له سمة عن باقي الفنون، وعلى الجانب المعماري بالخصوص تغيرت الأساليب المعمارية والزخرفية، فكان التأثر الفارسي واضحا، حيث اتجه البناءون إلى استعمال الآجر بدلا من الحجارة، ودعامات بدلا من الأعمدة،والعقود المدببة، وظهور المداخل الملتوية كأبواب مدببة، وا إقامة قبتين على بلاط المحراب ابتداء من زيادة الأغلبية بالقيروان، والمآذن الحلزونية على هيئة برج حلزوني مصعده من الخارج، مثل مؤذنة جامع سامراء (263هـ-266هـ)، والإقبال على تغطية الجدران بالجص بدلا من الفسيفساء، وابتكار طرز خاص في زخرفة الجص ظهرت في منشآت ومباني سامراء.

وفي منتصف القرن الثالث الهجري بدأت حركات الاستقلال العباسية تظهر، وتتكون دويلات في المشرق والمغرب الإسلامي، مما أدى إلى تغيير عناصر كثيرة في عقيدة الطرز المعماري والفنية. وما يمكن الجزم به أن المعماري المسلم اقتبس من فنون الحضارات السابقة ما يتلاءم مع بيئته، وما يتماشى مع تعاليم دينه، ويسد احتياجه ، وصاغ تلك الأساليب المعمارية وطورها، واستمر في ذلك

[1] نفس المرجع السابق ، ص 8

حتى تخلص من جميع التأثيرات الأجنبي، وصار طر ازا قائما بذاته، وأصبح من الصعب بما كان تأثيرات الفنون الأخرى[1] .

وبلغت العمارة الإسلامية والفنون الإسلامية عصرها الذهبي وظهور الطراز المغربي والأندلسي التي تعود ملامحه إلى جامع قرطبة سنة (169هـ/785م) الذي بناه عبد الرحمن الداخل، وهذا ما صرح به اسيد عبد العزيز سالم:" يجمع مؤرخو الفن الأندلسي أن جميع الصور المتطور لعناصر في مختلف أبنية الأندلس إنما تنبثق أصلا من بنيان المسجد بقرطبة، فيفه تكمن المنابت الأولى لفن المغربي الأندلسي، التي أخذت في الظهور في العصر الخلافة الأموية بالأندلس، ثم ترعرعت بعد ذلك في عصر الطوائف، وتفتحت براعمها في عصر دولتي المرابطين والموحدين، وأثمرت في عصر دولة بني الأحمر، وجامع قرطبة يمثل المنبع الرئيس الذي ارتوت منه فنون الإسلام في المغرب والأندلس في عصرها المختلفة، ولهذا أصبح هذا الجامع المثل الأعلى لمساجد المغرب والأندلس[2]. ومن أهم الخصائص المعمارية لهذا الطراز استعمل الشرفات المسننة، القوس المتطاول لا سيما الحدوي منه، والأعمدة الرشيقة، والتيجان ذات المقرنصات، والفسيفساء الخزفية، أما المآذن عموما مربعة [3] .

وما يمكن استخلاصه عن نشأة العمارة الإسلامية أنها لم تقم على أساس أنها تمثيل فنا ابتغى المسلمون التميز من خلاله، بل جاءت نتيجة حتمية لاحتياجات فلية ملحة، حين ارتبطت في بدايتها بالمسجد، وا ن تميزت بالبساطة، إلا أنها

[1] بالحاج معروف ،نفس المرجع السابق ، ص 17.

[2] نفس المرجع السابق ، ص20.

[3] زكي محمد حسن، في الفنن الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، سنة 1981م ص16.

حددت الملامح التخطيطية والمعمارية للمنشآت المعمارية الإسلامية من حيت: الصحن الواسع والمحراب والمنبر، والتي بالطبع جاءت بما يناسب مع الإمكانيات المادية المتاحة في بداية العصر الإسلامي.

3- خصوصية العمارة الإسلامية:

تميزت المنشآت المعمارية الإسلامية بعدد من المميزات والتفاصيل التي تكررت في مختلف العمائر الإسلامية، حتى صارت من السمات الرئيسية فيها واكتسبتها شخصيتها المنفردة والمختلفة في طرز الفنية الخاصة بالفنون السابقة.لقد كانت للتعاليم التي نزل بها الدين الإسلامي أثرها في التوجيه الفن المعماري، فاحتوت العمارة الإسلامية صحونا متسعة[1]. الصحن هو : الفراغ المكشوف المحدد بواسطة الجدران أو المباني، وهو رمز الحياة، ومركز الجذب لكل العناصر المعمارية، لكي ينتظم وتطل عليه، وهو الحلقة الرابط المميزة لكل العمارة الدينية أو المدنية الإسلامية [2]وتظهر وضيفته في أن يكون المسلم على اتصال دائم بالسماء من أجل لله تعالى، فقد أدخل المعماري المسلم فكرة الرمز الكوني بشكل المعماري، ناهيك عن الوظائف المختلفة الأخرى للصحن من تلطيف درجات الحرارة في المبنى، والسماح التيارات الهوائية الباردة، وأشعة الشمس من أجل الإضاءة والتدفئة ، والاتساع إلى عدد كبير من المصلين[3].(الصورة 1)

وقد حمل فن العمارة في ظل الإسلام تعبيرا معماريا جديدا، إذ ربط الفن المعماري المسجد والكعبة المكرمة، وذلك من خلال ابتكار المحراب الذي يتميز

[1] ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط01، سنة 1944م، ص20.

[2] حمد حسين جودي ، نفس المرجع السابق ،ص 61-63.

[3] المرجع نفسه، ص 62.

بأنه عنصر معماري إسلامي بحت، لم يظهر في أي من الأساليب المعمارية قبل الإسلام، سواء من ناحية الشكل الفريد الذي اتخذه، أو من ناحية المدلول الرمزي لتوحيد المسلمين جميعا عند الصلاة في اتجاههم نحو الكعبة، بالإضافة إلى أنه عنصر معماري أساسي في عمارة المسجد.

والمحراب في العمارة الإسلامية هو:" مكان وقوف الإمام للصلاة، وهو عبارة هن تجويف أو مشكاة في الجدار القبلة، وكان دوره هو تحديد اتجاه القبلة، وان يقوم بدور مضخم الصوت للإمام عند تكبيره، وتلاوته وركوعه وسجوده أثناء الصلاة[1]. وقد اختلف في تاريخ ظهوره هذا العنصر المعماري، وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من حدد اتجاه القبلة في مسجده، رغم أن هذا المسجد لم يكن له محراب في عهده (ص)، ولا ف عهد الخلفاء بعده، وأن أول من أحدثه عمر بن عبد العزيز في عهد الوليد بن عبد الملك[2]،وأقدم المحاريب المجوفة في الإسلام، فهو المحراب الموجود في ظلع الجنوبي من منزل عبد الله بن عمرو مربع يقع جنوب مسجد النبي (ص)، كان بلال بن رباح يصعد عليه للآذان. (الصورة 2)

ولعل القول الذي يؤرخ أن : " أقدم المآذن الأبراج التي كانت قائمة في المسجد الأموي بدمشق، وكانت على شكل أبراج مربعة، وقد انتقل هذا الطراز إلى شمال إفريقيا وسائر البلاد الإسلامية، يحتاج إلى التدقيق، وقد سبق العمود المربع الذي لا يؤذن عليه بلال بن رباح، أما في مصر فقد بنيت المآذن بأمر من معاوية بن أبي سفيان، ولم تكن قبل ذلك، وأول من ارتقى

[1] رزق محمد عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مديولي، ط01، سنة 2000، ص263.

منارة للآذان في مصر دون دار الخلافة بدمشق، وعليه يمكن القول أن المآذن ظهر كعنصر معماري في بداية حكم لأمويين، ثم شاع استعمالها في بلاد الإسلام شرقا وغربا، وقد ظهرت المؤذنة في المسجد النبوي عام، (88هـ/700م) لما أعيد بناؤه من طرف الخليفة الوليد بن عبد الملك[1]، ويرى كريسويل" أن المؤذنة مسجد القيروان أقدم مؤذنة وصلت إلينا في البلدان الإسلامية جميعها، وأن الخليفة عبد الملك هو الذي أمر ببناء هذه المؤذنة، وأنها مستوحاة من فكرة أبراج الكنائس المسيحية التي كانت من العادات المتبعة في بلاد الشام قبل الإسلام"[2]،ويرجع تاريخ تشييد مؤذنة القيروان إلى حدود سنة 105هـ، لما كتب بشر بن صفوان إلى الخليفة هاشم بن عبد الملك يعلمه أن :" جامع القيروان يضيق بأهله وأن بجوفه جنة كبيرة لقوم من فهر، فكتب إليه هاشم يأمره بشرائها، وأن يدخلها في المسجد الجامع، ففعل وبني الصومعة في البئر الجنان ونصب أساسها على الماء... ، ولعل شكل مؤذنة القيروان الذي يشبه أبراج الحربية، ونوافذها شمالا وغربا التي تأخذ شكر مرامي السهام، تأكد أنها بنيت عل يد بشر بن صفوان، أي في عصر الولاة ذي الصبغة العسكرية. ذلك أن القيروان كانت عاصمة القسمة الغربي من العالم الإسلامي، والمسجد الجامع هو الصحن المسلمين، وملاذهم وقلعتهم[3].

وفي مقارنة أحمد فكري بين المؤذنة جامع القيروان وأبراج الكنائس المسيحية التي سبقت الإسلام التي تظهر في هيئة الجمود، وتخلو نسبيا من

[1] محمد بن حمو للعمارة والعمران، دراسة في فقه العمران والعتمراة الإسلامية، دكيورابه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار -2011م، ص 150.
[2] نفس المرجع ،ص 163.
[3] نجوى عثمان، مساجد القيروان، دار عكرمة، دمشق، سنة 2000م، ص 112.

مظاهر التوازن، أما مؤذنة القيروان فإنها ترتسم في الفضاء كتلة تجمع بين الانسجام والاتزان، فإن تناسق نسب عرضها إلى ارتفاعها ليزيد عظمتها ظهورا،وهذا ما يؤكد أن المسلمين لم يكونوا في العمارة الإسلامية سوى مقتبسين من الفنون السابقة لهم، دون إضافة صبغتهم المميزة المنفردة، فكانت إبداعاتهم لمعمارية تستحق الإعجاب والتقدير لأن المعماري الهاوي المسلم استطاع أن ينفذ فكرة الخالدة بمهارة فنية فائقة.

وهذا ما أكده أحمد فكري أنه يجب:" الاعتراف بان ذكرى الأبراج السورية تتضاءل أمام شهرة مئذنة القيروان، وشخصيتها السبب الذي أدى برجال الفن والعمارة من المسلمين، باتخاذها نموذج لمساجدهم في البلاد المغرب والأندلس[1].

ككما أن وحدة الفن الإسلامي أدت إلى ارتباط المنشئات المعمارية، والمعالم بمعاني روحية تتعلق بتوجهات الإسلام،فعني بالزخرفة عناية بالغة، ومن أبرز مظاهرها الزخرفة النباتية المحورة، والتي يطلق عليها مصطلح الأرابسك أو الرقش العربي، فمن مظاهر التطور نبسط العناصر النباتية القديمة، وتحويلها إلى عناصر زخرفية بعيدة عن الطبيعة، وهنا " لأول مرة في تاريخ الإنسانية اكتشف الفنان المسلم بشكل واع بأن هدف الفن ليس محاكاة الطبيعة، أو تقليد الكائنات الحية، وا ٍنما إيجاد عالم مستقل من الأشكال والألوان للتعبير ع ما وراء الواقع، وبالتالي فالاتجاه إلى الزخرفة لنباتية ناتج عن الرغبة داخلية واعية، وعن نظرة فكرية وروحية نابعة من الإسلام، فهذا يعبر عن رفض أن الواقع هو النهاية،

[1] نفس المرجع السابق ،ص 112.

ويعمل على تحرير الذات من حدود الحس وحده، والعين من إطار الطبيعة دون الأبعاد الأخرى وراءها[1]. (الصورة 3-4)

واستخدم المعماري الخط العربي بأنواعه المختلفة في التزيين، وأتقنوا في اختيار الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والحكم والأشعار للزخرفة بها، فظهر الخط العربي على الواجهات العمائر الإسلامية بامتدادات والتواءات وتشابكات، مما يزيد القوة الإبداعية ليدخل عنصر التشويق وخاصة فيما يتعلق بحركة الحروف والوحدات الزخرفية النباتية وتفرعاتها، واستخدام التغير والتنوع بحركات إيقاعية متوالية،ومن العبارات التي اشتهرت في الزخرفة الأندلسية:" لا غالب إلا الله"[2].

وابتعد المعماري عن التصوير، وخاصة في العمارة الدينية كالمساجد، وذلك بتوجيه من الدين الإسلامي الحنيف، حيث كان الاهتمام موجه نحو الإبداع فقي تشيد مراكز العبادة ولحكم، مع ما رافق ذلك من تطور للفن الزخرفي الداخلي لهذا الأبنية، وكان الدافع من زخرفة وتزين العمائر الإسلامية يظهر في كراهية الفراغ، و الرغبة في تغطية السطوح المعمارية و مساحتها ، لتخفيف الملل والإحساس بالصلاة والقوة، وتزيد من تأكد الكتلة المعمارية للبناية، وا إبراز ملامح الجمالية لتبعث في نفس المتأمل النشوة والسرور[3]. وقد بلغ الشغف بالتزين والبلاد العربية والإسلامية إلى أن غشيت أعلى المداخل والأبواب والأواوين بالمقرنصات، التي هي :" عبارة عن حنايا زخرفية تشبه النحل، وتري في العمائر متدلية في طبقات

[1] شاكر مصطفى، عناصر الوحدة العربية الإسلامية ، دار الفكر ، دمشق، سنة 1989م، ص 140.

[2] أنور الرافعي ، نفس المرجع السابق ،ص 24.

[3] حسين جودي ، نفس المرجع السابق ،ص 84.

بعضها فوق بعض، تستخدم التدرج من الجزء المربع إلى السطح الدائري، أو المثمن تقوم عليه القبة "[1].

وما يمكن الجزم به ان الفن الإسلامي في أو لنشأته كان يعتمد على العناصر المعمارية والزخرفية التي تتفق مع تعاليم دينه، فجاءت منجزاته مشابهة في جميع الأقطار والأمصار، رغم شساعة مساحة الدولة الإسلامية ، إلا مع قليل من الاختلاف والتباين الذي تحمله كل بيئة وتختص به من تأثيرات محلية

[1] نفس المرجع السابق ، ص 71.

الفصل الثاني:

العمارة المرينية

العمارة المرينية:

1- انتشار و إنشاء الدولة المرينية.

2- نسب بني مرين.

3- العمارة المرينية .

4- انتشار و إنشاء الدولة المرينية:

المرينيون، بنو مرين أو بنو عبد الحق هي سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب الأقصى من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي، وتوسعت حدود دولتهم خارج نطاق المغرب في عهد السلطان أبي سعيد الأول، ويوسف بن يعقوب وخاصة أيام أبي الحسن المريني الذي ضَمَّ لدولته المغرب الأوسط والأدنى فوحد المغرب الكبير تحت رايته، مسيطرا على بلاد السوس ومعاقل الصحراء جنوبا[1]إلى مصراتة قرب الحدود المصرية شرقا، ورندة بالأندلس شمالا، ولم يستطع المرينيون بسط سيطرتهم على كامل الأراضي التي كانت تشكل الدولة الموحدية، غير أنهم استطاعوا توحيد المغرب الأقصى والعبور إلى الأندلس للجهاد لوقف زحف ممالك إسبانيا ومكافحة القرصنة المسيحية على سواحل المغرب. ويرجع ظهورهم لوضعية بلاد المغرب الأقصى بعد كارثةمعركة العُقاب سنة 609 هـ، حيث ضعف وتفتت كيان السلطة المركزية لدولة الموحدين، هذا بالإضافة لتفشي وباء الطاعون وهلاك الجند، فغاب الأمن في البلاد، فظهر بنو مرين على مسرح الأحداث السياسية واستطاعوا إلحاق الهزيمة بالجيش الموحدي الذي أعده والي فاس لحربهم في أول صدام لهم مع الموحدين[2]، ثم تفاقم خطرهم، وازدادت قوتهم، فاستطاعوا القضاء على الدولة الموحدية والجلوس في مكانها بعد قضائهم على الموحدين في مراكش سنة 668 هـ 1269 /م [3]، واتخذوا من مدينة فاس عاصمة لهم. وأول

[1] عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر بيروت لبنان، جزء السابع ،سنة 2000م ،ص 244 .
[2] الناصري أحمد ،استقصاء اخبار دول المغرب الاقصى، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، الجزء الثاني ، ص226 .
[3] عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، الدار البيضاء ،الطبعة السابعة ،1978،ص476 .

سلطان لهم هو يعقوب بن عبد الحق .وحمل المرينيون مهمة الجهاد في الأندلس، وحازوا على مجموعة من المدن الأندلسية، وعلى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق وصل عددها 53 ما بين مدن وحصون، زيادة على 300 من القرى والبروج، أبرزها الجزيرة الخضراء وطريف وملقة وقمارش ورندة[1]،تنازل ولده السلطان يوسف بن يعقوب عن الكثير منها مكتفياً بطريف والجزيرة الخضراء [2].

وتميزت دولة بنو مرين عن بقية الدول التي سبقتها في حكم المغرب كونها لم تصل إلى الحكم تحت شعار فكرة دينية كما فعل المرابطين والموحدين، فقد اعتمد بنو مرين على قوتهم العددية وتنظيماتهم القبلية، المكونة من قبائل زناتة، والمتحالفة لاحقا مع القبائل العربية، الذين شكلوا أساس جهاز مخزنها .مما أعطى هامشاً كبيراً للإبداع والتطور الفكري والحضاري، فأطلق بنو مرين للناس حرية الاعتقاد والتمذهب، فعاد المذهب المالكي إلى الظهور قوياً كما كان أيام المرابطين، بعد أن نبذ وحارب الموحدون الفروع والتقليد وقرّب المرينيون الأشراف الأدارسة وبجلوهم بظهائر التوقير والاحترام، وأعادوا بناء ضريح مولاي إدريس،وا إحياء الإحتفالات بالمولد النبوي،كما قرّب المرينيون العنصر اليهودي الفارّ من الأندلس ،وعرفت الدولة المرينية تطورا عمرانيا وثقافيا، فبنى المرينيون مدن جديدة كفاس الجديد وتطاوين والمنصورة بالمغرب،والبُنيَّة بالأندلس، كما اهتموا ببناء المدارس والمارستانات والمساجد والأربطة والمؤسسات الوقفية المختلفة. واستحدث المرينيون نظم إدارية وعسكرية، كمشيخة الغزاة، وبرز في عصرهم كبار الرحالة أمثال ابن بطوطة، وابن رشيد

[1] بن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص، 90 .
[2] عبد الرحمن بن خلدون، نفس المرجع السابق ،ص، 217.

السبتي، والعبدري، والتجيبِي، والبلوي وأحمد زروق، حيث حرص المرينيين على تمتين الوحدة الإسلامية مع المشرق عن طريق هذه الرحلات. [1] واحتضنت عاصمتهم فاس كبار المؤرخين والأدباء والعلماء أمثال لسان الدين بن الخطيب وابن خلدون وابن البناء المراكشي[2]. بعدمعركة العُقاب سنة 609 هـ ومهلك الخليفة محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين سنة 610 هـ، تولى الأمر من بعده ابنه يوسف المستنصر، الذي كان لا يزال غلاماً لم يبلغ الحلم. فضعف نفوذ الموحّدين وضاعت معها الثغور. وفي سنة 610 هـ1213 / م أقبل بنو مرين على عادتهم ودخلوا المغرب فوجدوا أحواله قد تبدلت، فاغتنموا الفرصة فشرعت القبائل المرينيّة في التوسّع في الريف وفي الغرب، ووضعوا أنفسهم مؤقّتاً تحت السلطة الاسميّةللحفصيّين، بعد أن دعا أهل مكناس عند فتحها إلى مبايعة الحفصيين، وقد افادتهم هذه الخطة حيث هادن الحفصيون المرينيين وأمدوهم بالسلاح. فأرسل الخليفة المستنصر أبا علي بن وانودين على رأس الجيش الموحدي من مراكش إلى حيث تجتمع جيوش الموحدين بفاس .*وأوعز إليه أن يخرج لغزو بني مرين وأمره أن يثخن ولا يستبقي*، حسب قول ابن خلدون. فالتقى الجمعان بوادي نكور فانتصر بنو مرين تحت قيادة عبد الحق بن ومَلّحيو الموحدين مُدْبِرِينَ إلى تازة وفاس، وانضمت للمرينيين القبائل القريبة لهم في النسب، فتحالفوا معهم من أجل قتال قبائل رياح من بني هلال، المناصرين للموحدين للعهد الذي بينهم حيث وطنهم المنصور بذلك القطر، بالإضافة لبني عسكر أبناء عمومة بني مرين، الذين انضموا إلى الموحدين،

[1] محمد المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، جامعة عبد الملك السعدي،المغرب ، ص194.
[2] يحيى بن خلدون، بغية الرواة في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير مونطانا، الشرقية ، الجزائر، 1903، ص76.

وجرت حروب دموية سنة 614 هـ / 1217م، انتهت بسقوط زعيم بنو مرين الأمير عبد الحق محيو وكبير أولاده إدريس. فأقسم بنو مرين الأخذ بالثأر، واستأنفوا القتال حتى انتصروا عليهم وشردوهم. وبايع بنو مرين موضع عبد الحق محيو ابنه الأمير أبا سعيد عثمان، وسار على رأس جيش فأخضع عدة مدن وحصون وفرض عليها اتاوة سنوية. وزاد تفكك الدولة الموحدية، حيث ظهر مدعي النبوة ابن أبي الطواجين وقتل أتباعه المتصوف عبد السلام بن مشيش .وفي العام 639 هـ1242 / مسيّر عبد الواحد الرشيدخليفة الموحِّدين جيشاً لقتال بني مرين، فهُزِم الموحِّدون هزيمة شنيعة، واستولى المرينيون على معسكرهم. وتوفي الرشيد في العام التالي، فخلفه أخوه أبو الحسن السعيد، الذي اعتزم القضاء على بني مرين، فيسّر جيشا كبيرا لقتالهم سنة 642 هـ 1244 - م، واشتبك مع بني مرين في موقعة هائلة، هُزِم فيها بنو مرين، وقُتِل أميرهم أبو معروف محمد بن عبد الحق، وشكلت ضربة شديدة هزّت عزائم المرينيين.[1] وانضمت قبائل بنو هلال إلى جانب المرينيين، كقبائل الخلط وبني جابر وبني زغبة وبني سفيان وسويد وبني سليم وبني عامر وبعض بني رياح، بالإضافة لبعض بني معقل، فاعتمد المرينيون بشكل كبير على العنصر العربي في تكوين مؤسستهم الحربية. وبذلك حارب المرينيون ككتلة قبلية وليس كدولة، لدرجة أن الصراع المريني الموحدي تحول إلى صراع بين القبائل العربية (المتحالفة مع زناتة) والبربرية)مصمودة .(ولم يكترث بنو عبد الواد للقرابة الاثنية والدموية التي تجمعهم بمني مرين، حيث قاتلوا في صفوف الموحدين ضد بني عمومتهم.

[1] نفس المرجع السابق ، ص 80

تولّى إمارة بني مرين بعد مقتل أبي معروف، أخوه أبوبكر بن عبد الحق الملقّب بأبي يحيى، الذي رفع شأن بني مرين فأصبح لهم دولة منظمة، بجيش منظم وأصدر القوانين وقسم بلاد المغرب وقبائله وأقطع كلاً منهم ناحية. واستولى جنده على مكناسة سنة 643 هـ، ثم زحفوا على فاس واستولوا عليها بعد حصار شديد سنة 648 هـ1250 - م وكان سقوط فاس أعظم ضربة أصابت دولة الموحِّدين. ولما رسخت قدم يعقوب بن عبد الحق بالمغرب واتسع سلطانه وقطع دعوة الحفصيين تمرّ التوسّع المريني في عهد أبي يحيى بين 1244 - 1258م، وبشكل خاص في عهد أبي يوسف يعقوب، الذي نجح في استبعاد إدريس الواثق خليفة موحّدي ، واحتلّ مراكش وعرّف السلطان الجديد أبو يوسف عن نفسه بأنّه أمير المسلمين، وهو نفس اللقب الذي اعتمده المرابطون في السابق .

وفي سنة655 هـ1255/م غدر عامل سجلماسة محمد القطراني بالموحدين وانحاز إلى الأمير أبا يحيى بن عبد الحق المريني وساعده على احتلال سجلماسة مقابل تعيينه واليا عليها[1]. فتعاظم أمر القطراني بعد ذلك وكثر أتباعه وازدادت قوته، وجاءه خبر موت الأمير أبي يحيى المريني سنة 656هـ/1256م، فثار القطراني على الدولة المرينية وانفرد بالحكم على سجلماسة، واعتذر من السلطان الموحدي المرتضى وقدم له طاعته وولائه بشرط استقلاله في سجلماسة فوافقه المرتضى، وأرسل له القاضي ابن حجاج، وعدد من الجند، وسيدا من الموحدين ليقيم في سجلماسة من غير أن يحكم. واتفق المرتضى مع القاضي ابن حجاج وقائد الجند على القطراني وقتلوه بالحيلة. بعد أن تم للسلطان يعقوب بن عبد الحق إخضاع معظم أجزاء المغرب وأنهى دولة الموحدين، بقيت سبتة وطنجة وسجلماسة خارجة عن حكمه وسلطته، فقرر إخضاعهم قبل أن يبدأ بمهمة الجهاد في الأندلس. وبعد عودته من حصار تلمسان، توجه لحصار

[1] احمد بن محمد بن عذري ،نفس المرجع السابق،ص416-417 .

طنجة التي كانت تحت حكم العزفيين وحاصرهم مدة ثلاثة أشهر، واقتحموها سنة672 هـ1273/م بعد استسلام بعض جنودها بعد خلاف وقع بينهم. [1] وبعد فك الحصار على طنجة أرسل ولده الأمير يوسف إلى سبتة فحاصرها، ولكنها استعصت وصمدت، فتم التوقيع على معاهدة صلح بين الأمير أبي العباس العزفي والسلطان المريني بشرط أن يحتفظ الأول بحكم سبتة واستقلال العزفيين فيها لقاء خراج سنوي يؤديه إلى السلطان المريني. [2]

" فما قدموا عملا من الأعمال قبل تمهيد البلاد، والضرب على أيدي أهل الضرر والفساد، فأمنوا السبل، وسدوا الخلل، فاتسعت أحوالهم وانبسطت آمالهم، فصار أهل تلك البلاد يعظمونهم غاية الإعظام، ويعاملونهم بالبر والإكرام ."[3] (الشكل 1)

5- نسب بني مرين :

ينحدر المرينيون من بني واسين الزناتية، واستقروا في المناطق الشرقية والجنوب الشرقي من المغرب الأقصى، وكانوا من البدو الر ُحَّل في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي يرعون الغنم والإبل في القفار بين منطقة فكيك وملوية(الجهة الشرقية حاليا).[4] وكانوا يتعمقون في المغرب الأقصى ويصعدون إلى التلال والأرياف، ويبلغون جهات كرسيف إلى وطاط حيث بقايا قبيلة زناتة الأولى التي يأنسون إليها، مثل مكناسة بجبال تازة وبني يرنيان من مغراوة أعالي ملوية، حيث يجمعون الكلأ بين المربع والمصيف ويعودون لمواقعهم.

خلال تزعم محيو بن أبي بكر لبني مرين، شهدوا معركة الأرك وقاتلوا في صفوف الموحدين في عهد السلطان أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور،

[1] عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق ،ص 187.
[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، نفس المرجع السابق ، ص35 .
[3] احمد بن محمد بن عذري ، نفس المرجع السابق ،ص 408 .
[4] د . عليه اندلسي ، اطلالة على الحضارة المرينية ،07 ديسمبر 2012.

وأصيب زعيمهم محيو بن أبي بكر في تلك الغزوة وهلك على إثرها سنة 592هـ - 1195م . وترك خلفه من الأولاد عبد الحق ووسناف ويحياتن. وكان عبد الحق أكبرهم فتزعم القبيلة، ويقول ابن خلدون في ذلك :"*وكان خير أمير عليهم قياماً بمصالحهم وتعففاً عما في أيديهم وتقويماً لهم على الجادة ونظراً في العواقب واستمرت أيامهم*".[1] كان الخلفاء الموحدين يعينون الأشياخ كعمال لتسيير المناطق البعيدة عن السلطة المركزية في مراكش، أبرزهم شيوخ تينمل بالأطلس وشيوخ هنتاتة بتونس. وكان هؤلاء الأشياخ معروفين باتجاههم المحافظ والمتشبث بالمهدوية وفكرها التومرتي لمؤسس الدولة عبد المؤمن الموحدي، فعندما أقدم الخليفة إدريس المأمون بحركة إصلاحية تتبرأ بعقيدة المهدي، أعلن حاكم إفريقية أبو زكرياء يحيى إسقاط الدعاء باسم الخليفة المأمون في خطب الصلاة، لأن شرعية السلطة السياسية وا إمارة المؤمنين، حسب اعتقادهم، لا تستقيم إلا بالإنتماء إلى المهدوية التومرتية. ولما علم المرينيون بالتحالف بين الخليفة الحفصي الجديد والعبد الواديين حاكمي تلمسان ضد السلطة الموحدية بمراكش، أسرعوا إلى مبايعة الخليفة الحفصي.

بعد تقلص الرقعة الجغرافية والسلطة الفعلية للإمبراطورية الموحدية على شمال أفريقيا والأندلس، شهد النصف الأول من القرن الثالث عشر ميلادي تقسيما جديدا للغرب الإسلامي، ظهرت أربع قوى إسلامية جديدة، حيث انفصل الحفصيون بالمغرب الأدنى، واستولى بنو عبد الواد على المغرب الأوسط، بينما استقر الأمر فيما تبقى من الأندلس المسلمة لبني الأحمر، بعدما استولى على معظم الجزيرة الأيبيرية القشتاليون والكتلانيون والبرتغاليون، في حين كان المرينيون يمهدون الطريق نحو إقامة دولتهم[2] .

[1] عبد الرحمن ابن خلدون ، نفس المرجع ،ص220.
[2] عبد الرحمن ابن خلدون ، نفس المرجع ،226

6- العمارة المرينية :

حرصت دولة بني مرين على تنشيط وتشجيع الحركة العمرانية في شتى أنحاء البلاد خاصة بعد أن انتقل المرينيون من طور البداوة وشظف العيش إلى أبهة الحضارة والدولة فشهدت فترة حكمهم ظهور العديد من المدن الجديدة أهمها:

- **مدينة فاس الجديد:** تعتبر مدينة فاس العاصمة السياسية لدولة بني مرين، أساسها الثائر الشيعي ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت 213هـ/828 م) بعد أن فر من أيدي العباسين في وقعة فخ[1] الشهيرة سنة 169هـ/785م إلى المغرب فبايعته قبيلة أوربة وغيرها بمدينة وليلي في جبل زرهون عام 172هـ/788م [2] فاختط عدوة الأندلس سنة 192هـ/808م، عدوة القرويين سنة 203هـ/818م وبنى مساكنه فيها وشيد أيضا جامع الشرفاء [3]، وبعد موته دفن ادريس في جبل زرهون [4].(الشكل2)

يعد الأمير أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق سنة 646هـ/1248م اول من نزل بمدينة فاس القديم من المرينيين، واتخذ مها حضارة وقاعدة لاستكمال فتح باقي المدن ومناطق المغرب الأقصى[5].

[1] فخ:- تقع على بعد ثلاثة أميال من مكة المكرمة ، ابن خلدون: العبر ج6،ص.147

[2]- ابن خلدون: العبر ج6، ص147 .

[3] ابن خلدون: العبر، ج4،13.

[4] ابن أبي زرع: الأنيس، ص21.

[5] ابن خلدون: العبر، ج6، ص147.

وفي عهد أخيه أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق(656-685هـ/1258-1286م)، تم تأسيس فاس الجديدة أو المدينة البيضاء حيت بدأ في بنائها في الثالث من شوال 674هـ/1276م[1]، فنيت على مقربة من فاس القديمة على ضفة وادي الجوهر وغدير حمص[2].

أما السبب الذي دفع السلطان يعقوب لأبنائها "انه لم فتح جبل تينمل، ومحيت منه بقية إلى عبد المؤمن، وتمهد له ملك المغرب، واستفحل أمره وكثرت حاشيته رأى أن يختط بلدا ينسب إليه ويتميز بسكناه وينزل فيه حاشيته وأوليائه الحاملين لسرير ملكه "[3] .

ومن دوافع بنائها أيضا، موقعها المتوسط ذو الأهمية الإستراتيجية، إذ شكل نقطة وصل بين مراكش في الجنوب والعدوة الأندلسية في شمال وتلمسان في بلاد المغرب الأوسط ، ويصف ابن أبي زرع (ت741هـ/1340م) مدينة فاس لأنها "دار فقه وعلم ودين.... وبأنها أم بلاد المغرب في القديم والجديد"[4] .

قام السلطان يعقوب بجمع أهم المرافق في وحدة معمارية متكاملة، فجمع بين القصر الذي يمثل مقر القيادة ومركز صنع القرار مع الجامع الذي يمثل المؤسسة الدينية، إضافة إلى دار الضرب التي تمثل الناحية المالية، وكأنه بذلك يريد الإمساك بالزمام والدين والمال والسلطة في آن واحد .

---

[1] ابن الأحمر : الروضة، ص19 .

[2] ابن الأحمر : روضة، ص20.

[3] ابن أبي زرع، الذخيرة، ص161.

[4] نفس المرجع ،ص32.

- **القصر:** وكان يتألف من غرف واسعة مرتفعة ومجالس رسمية وغرف الاستقبال تعلوه القباب العالية، وأهمها قبة الرضا بالإضافة إلى البرك ذات المراكب تحيط به البساتين المغروسة بالأشجار على اختلاف أنواعها[1] .

أما جدرانه كانت مغطاة بالرخام والفسيفساء الملونة والجبس، وصنع سقفه من الخشب المدهون بينما كانت أرضيته مغطاة بالقيشاني الملونة، وأثاثه من الفرش تكسوها الأقمشة الثقيلة والبسط السميكة التي كان يصنعها البربر والقطع القليلة من الأثاث الخشبي المحفور[2] .

- **الجامع الكبير:** بناه السلطان يعقوب ابن عبد الحق قريبا من القصر، وساهم الأسرى الإسبان في بنائه، وجمع في طرازه مابين الفن المغربي والاسباني واشرف على بنائه أبو علي الأزرق والي مكناس، وتم انتهاء من بنائه وتشديد منبره في رمضان سنة 667هـ/كانون الني 1279م[3]أجريت على الجامع إضافات عديدة أهمها: تعلق اثريا الكبرى به في الربيع الأول سنة 679هـ/تموز 1280م، والتي قدرت زنتها بتسعة قناطير وخمسة عشر رطلا، وعدد كؤوسها 187 كأس[4].(الصورة 5)

[1] محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، جامعة عبد المالك السعدي المغرب ،ص27.

[2] المنوني نفس المرجع السابق، ص27

[3] ابن أبي زرع،الذخيرة، ص162

[4] نفس المرجع ،ص162

- **دار الضرب:** شيدت بجوار القصر والجامع، وكانت قبل ذلك في قصبة النوار في فاس العتيقة، وبنيت على هيئة بناء مربع محاط بغرف سكن العمال والمعلمين، وفي وسطه مقر ناظر مع العدول والكاتب، تجاوره دكاكين الصاغة ومقر المسؤول عن مراقبتها المحتفظة بقالب المعادن وأختام النقود بحيث لا يصنع خاتم أو أي شيء من الفضة أو الذهب إذا لم يكن المعدن مختوما بقالبه .

واحتوت المدينة على عدد من الإسطبلات بالإضافة إلى معسكرات الجيش التي تضم مسكن كبار الضباط ومراكز الوحدات المكلفة بحراسة القصر والمدينة وعلى رأسها قائدها بالإضافة إلى إسطبلات الخيول ومخازن السلاح ، ومن تم الوحدات السكنية لكبار رجال الدولة التي كانت تشبه القصر في ترتيبها العام، أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله عماله ووزرائه ببناء الديار بها فبنى كل واحد منهم دارا [1] .

واختلط لناس بها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه التي جلبت من عين عمير على مقربة من فاس ، ولم تقل عمارة وحسن اتفاق وجمال بعض تلك المنازل عن مثيلاتها من منازل كبار رجال الدولة التي بنيت من الرخام، وأحيطت بالأسوار المبنية من الحجر المسمى العيسوي الذي لا يستجيب لقذائف المنجنيق، وبني على كل ناحية منها برج ابيض اللون، وأحيطت بتلك المنازل الحدائق والأشجار. كما شيدت في المنطقة الممتدة من باب القنيطرة حتى باب عيون صنهاجة الأسواق التجارية والمرافق الخدماتية كالحمامات ، وبنى لاحقا مسجد للسوق وحسبت عليه كتب كثيرة على يد أبو محمد عبد الله ألطريفي خلال فترة

[1] ابن أبي زرع، الذخيرة ، ص 162 .

السلطان أبي سعد عثمان بن أبي عباس (800-823هـ/1398-1420م) ، وقد بدت الصبغة العسكرية على فاس الجديد واضحة وذلك من خلال التحصينات القوية التي زودت بها ومن خلال الأسوار المزدوجة والأبراج الكبيرة المربعة ، وفي معرض إشارة الحسن الوزان (ت 939هـ/1532م) إلى قوة وجمال أسوار فاس الجديد فانه لا يشير إلا إلى سوران فقط دون تحديد موقعهما[2] ، وهذا ما يذهب إليه المنوني أيضا في حديثه عن أبواب فاس الجديد قائلا : إن السور الأول يحوي باب عيون صنهاجة وباب الوادي، بينما يحوي السور الثاني باب الجياف وباب السباع ، وعد الباب الأخير أعظم أبواب فاس من الجهة الشمالية وكان على كل جانب منه زوجان من الأبراج المربعة تعتليها تماثيل لسباع[1] .

ورغم أن مدينتي فاس القديم والجديد منفصلتان إلا أنهما كانتا تمثلان وحدة متكاملة فالقديمة احتفظت بمظاهر العلم والصناعة والتجارة بينما أخذت الجديدة طابع الحكم والسلطة، وفي الوقت التي كانت فيه حمراء غرناطة مقر ملك بني الأحمر كانت البيضاء مقر ملك السلاطين بني مرين ومنها تصدر الأوامر و بها تعقد علام الجيوش[2] .

- **مدينة البنية:** مدينة عسكرية الطابع أمر السليمان يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) ببنائها سنة 674هـ/1275م خلال جوازه الأول إلى الأندلس، وكان موقعها ملاصقا للجزيرة الخضراء على ساحل بحر الزقاق وبنى فيها السلطان القصور والجوامع والصوامع والحمامات والأسواق و

---

[2] الحسين بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا ، الجزء2 ،دار الغرب الإسلامي ، ص281 .

[1] محمد المنوني ، نفس المرجع السابق ، ص37 .

[2] عبد القادر زمامة، أبو الوليد بن الاحمر ،دار المغرب للتاليف و الترجمة و النشر ، دار البيضاء ،1979،ص55 .

القناطر مثل قنطرة واد النجا وقنطرة مارين وغيرها .وقد بنيت هده المدن العسكرية لتكون مقرات للقيادة ومعسكرات للجند بعيدا عن الاحتكاك بالشعب ومضايقة الناس، وينطبق على ذلك بناء مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع الفهري (ت 64هـ/682م)[3] .

- **مدينة تلمسان الجديد:** اختطها السلطان يوسف بن يعقوب (685-706هـ/1286-1306م) بجانب تلمسان حضارة بني زيان في المغرب الأوسط خلال حصاره لها، وسماها المنصورة وتلمسان الجديد، حيت اكتمل بنائها سنة 702هـ/1302م ، وبنى فيها قصورا ودورا وحمامات ونزل ومستشفى وزرع فيها الأشجار والبساتين .وبهذه المناسبة قام السلطان يوسف بن يعقوب بإهداء الكعبة المشرفة مصاحف مكلة بالجوهر والياقوت [1] .

- **مدينة تطاوين:** بناها السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف المريني (706-708هـ/1306-1308م) في أول محرم سنة 708هـ/1308م بهدف اتخاذها معسكرا للجند، والمساعدة على حصار سبتة التي احتلها الغرناطيون فكان بناء منازلها بسيطا غير محكم أما قصبتها فكان بنائها محكما وثيقا[2] . وفي سنة 729هـ/1229م بنى السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني (710-731هـ/1310-1331م) البلد المسمى أفراك بالقرب من سبتة، وكانت ذات طابع عسكري أيضا[3] ، وكذلك اختط

---

[3] عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة، ص 363 .

[1] ابن أبي زرع ،نفس المرجع السابق، ص 387 .

[2] الناصري، نفس المرجع السابق، ص96 .

[3] ابن خلدون، نفس المرجع السابق ،ص 247 .

السلطان أبو عنان فارس (749-759هـ/1348-1358م) مدينة القاهرة على سفح جبل السكسيوي خلال حصاره لاخيه أبو فضل محمد ثائر عليه وذلك سنة 754هـ/1353م[4] .

[4] نفس المرجع السابق ، ص294 .

الفصل الثالث:

مسجد سيدي أبي مدين

الفصل الثالث:مسجد سيدي أبي مدين.

- مدرسة و قصر العباد

- مسجد سيدي بومدين

- ضريح سيدي بومدين

- تمهيد :

هو عَلمٌ من أعلام الصوفية وقطب من الأقطاب الربانية، عُرف باسم سلطان الوارثين، وشيخ الشيوخ، وإمام الصديقين، إنه الشيخ الورع، العارف الزاهد، التقي النقي، المتواضع الحَيِي ْ ، سيدي "أبو مدين الغوت شعيب بن الحسن الأندلسي الفاسي البجائي...، ولد بقطنيانة"[1]، من عمالة اشبيلية بالأندلس حوالي سنة 509هـ "."[2]

لقد كانت حياة سيدي أبو مدين الغوث تتسم بالبساطة في أيام الصبا والشباب، حيث كان يرعى الغنم، ويعمل مع العمال، وكان يخدم في السفينة مع الخدم، وكان يؤجر نفسه للصيادين لكسب قوت حياته، حتى أنه انخرط في الجندية، لكن مع مرور الوقت، أحس بأن هذه الحرف تمنعه عن تعلم العلم واكتساب المعرفة، وأداء الفرائض، والعبادات، والتقرب من الله على الوجه الأكمل، فقرر الفرار من الخَلق إلى خالق الخَلق، وهو لا يعرف أنه في مرحلة التَّهيئة، والاصطفاء للولاية وللقطبية؛ يقول: "فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلم القراءة والصلاة".[3]

وبما أن شعار الصوفية يتمحور حول العلم، فإن الارتقاء في مدارج السلوك الصوفي، واللِّحاق بمنازل السائرين إلى الله، لا يدركان إلا بالعلم والمعرفة، لذلك كان شغل سيدي بومدين الشاغل، هو تحقيق ذلك، بدءً من طلب العِلم، وصُحبة رجالاته، وشيوخه، إلى التدرج في مقامات التصوف، لذلك دأب هذا الشيخ الجليل، على طلب العلم والمعرفة، حيث توجه إلى مدينة فاس، مربى العلم والعلماء،

[1] عبد الله بن عبد القادر التليدي،المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الامان،الرباط ،ط4، 2003ص64.
[2] سليمان القرشي،ديوان أبي مدين شعيب الغوث،ط1، 2002،كتاب ناشرون، بيروت لبنان، ص: 5.
[3] نفس رجع السابق ، ص6

والمعرفة والصلحاء، فكان أول مجلس علم يحضره، ويواظب عليه هو مجلس سيدي حرزهم

كان سيدي أبي مدين ينهج نهج الصحابة رضوان الله عليهم في تفسير القرآن، وفهم أصوله وأسراره، يقول: "كنت إذا سمعت تفسير آية من كتاب الله تعالى، ومعه حديث واحد من أحاديث رسول الله علية الصلاة والسلام، قنعت بهما، وانصرفت إلى خارج فاس، لموضع خال من الناس، اتخذته مأوى للعمل بما يفتح الله علي من الآية والحديث، ثم أعود إلى فاس، فآخذ آية وحديثا وأخرج إلى خلوتي".توفي رحمة الله عليه سنة 594هـ، وذكر، ابن الأبار أنه "مات في نحو التسعين وخمسمائة بتلمسان، وكان آخر كلامه: الله الحي، ثم فاضت روحه [1]."

1- مدرسة و قصر العباد:

- مدرسة العباد:

تقع بلدة العباد الصغيرة على السفح الشمالي لجبل "مفروش" على بعد حوالي 12 كلم من جنوب غرب تلمسان.

تحتوي هذه البلدة على ثلاثة أو أربعة معالم أثرية جد مهمة غالبا ما يعلق عليها الأوروبيون " سيدي بومدين " المستمدة من اسم الشخصية المشهورة بسيدي بومدين المنصوف بها و حتى بين الأهالي القاطنين ببلدة العباد فان تسمية سيدي بومدين هي المحببة لديهم و الأكثر رواجا اليوم "[2]

[1] ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط2 ، 2006 ، ص 297.

[2] وليم مارسي ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان ، الطبعة الأولى ، شركة الأصالة للنشر و التوزيع ، الجزائر العاصمة ، 2011 ص 303.

يوجد في بلدة العباد مدرسة سميت باسمها أي مدرسة العباد و هي إحدى المعالم الأثرية لهذه البلدة .

أسست هذه المدرسة على يد السلطان المريني أبو حسين في سنة 747هـ /1346م . كما تدل الكتابة المنقوشة على قاعدة القبة الخشبية لبيت الصلاة . و قد بنيت على الجهة الغربية للمسجد و نصل إلى بوابة المدرسة بواسطة سلم مكون من 15 درجة يقع في الزاوية الشمالية الشرقية [1].(الصورة 6)

- **مخطط المدرسة :**

تتخذ المدرسة تخطيطا مستطيلا عرضه 13م و عمقه 15.50م تحيط به أروقة تفتح على الرواق الشرقي و الغربي بستة غرف بالإضافة إلى أربعة غرف أخرى ، تعتبر امتدادا للرواق الشرقي الطابق العلوي به نفس عدد الغرف تفتح على رواق غير مخطط، يتوسط الصحن حوض ماء واسع و مستطيل و من الجهة الجنوبية نافورة مياه.القسم الجنوبي من المدرسة تحته يوجد بيت الصلاة و هي مربعة الشكل طول ضلعها 5.78م يتوسط جدارها محراب مضلع ، بها قبة نصف دائرية تقوم على قاعدة ثمانية أضلاع ، سقفها عالي و تغطيها قبة خشبية يكسوها من الخارج سقف هرمي من القرميد الأخضر . (الشكل3)

[1] د. محمد لخضر عوملي، الزخرفة المعمارية الإسلامية في عهدي مريني و بني زياد ، الطبعة الثانية ، دار النعمان ، برج الكيفان الجزائر ، 2016 ص 108.

- **زخرفة المدرسة:**

تضررت هذه المدرسة كثيرا حيث لم تعد توجد زخارف إلا القليل منها سواء بعض الأجزاء من الزخارف الجصية التي تزين بين الصلاة . و بشكل خاص البوابة التي تعتبر أهم قسم من المدرسة الذي حفظته زخارفه الأصلية[1] .

- **البوابة:**

تتميز البوابة بجمال خاص بفضل زخارفها من الزليج بألوانه المتعددة و الأجر الأحمر حيث تتوسط هذه الأخيرة الجدار الشمالي للمدرسة و تفتح في محور المحراب.[2] (الصورة7)

تتكون هذه البوابة من باب ذو عقد حدوي، يزين فتحته عقد زخرفي من الأجر يتكون من خفيرتين تتقطعان لتشكلا فصوص دائرية تتناوب مع فصوص منكسرة ، و يحتوي الفراغ الموجود بين الخفيرتين قطع من الزليج الأخضر ، يؤطر كوشتي العقد إطار ضيق من الأجر مكون من خفيرتين يفصل بينهما خيط من الزليج الأخضر و مكسوتان بالزليج ذو تصميم هندسي مشكلا طبقا نجمي كبير ذو 16 رأس اسود و مركزه اخضر تدور حوله أربعة نجوم ثمانية رؤوس ، و تلمه مضلعات ذات أشكال متنوعة سوداء و خضراء على أرضية بيضاء.[3]

[1] د. محمد لخضر عوملي ،نفس المرجع السابق ،ص 109.
[2] نفس المرجع السابق ،ص109.
[3] د. محمد لخضر عوملي ،نفس المرجع السابق ، ص110.

- زخرفة بيت الصلاة:

لقد تطور بيت الصلاة كثيرا و فقد مجمل زخارفه الأصلية ، أما الزخارف الحالية فتعود لجهود المرممين ، لذلك ليس لدينا فكرة واضحة عن الزخارف الأصلية .

من خلال المراجع التاريخية يبدو أن القاعة كانت مزينة كليا بالزخارف الجصية، و الأجزاء السفلية من الجدار مكسوة بالزليج لكنه غير أصلي ، اغلب الزخارف الحالية ليست أصلية حيث أنجزت من خلال أعمال الترميم التي عرفتها المدرسة ، و لا نعرف أن أنجزت على ما تبقى من الزخارف آو أنها مقتبسة من معالم مرينية .أما النموذج الأصلي من الزخرفة الجصية هو اللوحة على جانب مدخل بيت الصلاة حيث تتكون من عقد أهم ذو فصوص دقيقة ، سطحه مزين بشبكة من العناصر النباتية منقوشة بشكل مسطح ، يحمل تشكيلة من المعينات الهندسية ، هذه الأخيرة مشكلة من ضفيرتين تتقطعان لتشكل معينات مفصوصة سطحها مزينة بكلمة "الله" بالخط الكوفي ، الحرفان الأوسطان يشكلان عقد مفصص على أرضية مزينة بغصن نباتي يلتف بشكل حلقتين .[1] (صورة 8)

- قصر العباد:

لا نعرف شيئا عن تاريخ هذا القصر ، و من المرجع انه بنى في نفس الفترة التي بنيت فيها المدرسة و المسجد . حيث ظل مدفونا إلى غاية الكشف عنه سنة 1885م من خلال مصالح المعالم التاريخية الفرنسية .(صورة9)

[1] نفس المرجع السابق ،ص 110.

- **مخطط القصر:**

هو عبارة عن بناء صغير بني أسفل من قبة سيدي أبي مدين ، لا نعرف الغرض من بناءه و لكن من المرجع انه كان لإيواء الشخصيات المهمة و أمراء بني مرين عند زيارتهم لضريح سيدي أبي مدين .

و لقد تهدم جزء كبير من البناء و فقد مجمل زخارفه الأصلية ، حيث يتكون من ثلاثة أجنحة و تكون حول ثلاثة ساحات مركزية[1].

يتكون الجناح الغربي من ساحة مركزية مستطيلة ، حيث تحتوي على حوض ماء و تحيط به ثلاثة أروقة من الجهة الشرقية ، الغربية ، و الجنوبية ، يطلل الرواق الجنوبي على ساحة بها ثلاثة عقود ، العقد الأوسط اكبر من العقدين الجانبين، و تفتح عليه قاعة طويلة ، و على جانبها غرفتين صغيرتين ، أما الرواقان الشرقي ، الغربي ، يطلان على هذه الساحة بواسطة عقد مركزي و تفتح عليه قاعة طويلة .

أما الجناح الأوسط فيتكون من ساحة مستطيلة تكون اصغر من الأولى ، تحيط بها أربعة غرف ، أما الجناح الثالث فهو أيضا مكون من ساحة مستطيلة تفتح عليه قاعة طويلة و ثلاثة أروقة .

- **زخارف عقود أروقة الجناح الشرقي:**

تحتوي هذه العقود على زخارف جصية ، و هي عبارة عن عقود نصف دائرية ذات فصوص دقيقة يؤطرها استطار كتابي بالخط النسخ. أما زخارف كوشاتها

[1] د. محمد لخضر عوملي ، نفس المرجع السابق ، ص 111.

فهي من الجص تكون على مستوين : المستوى الأول و هو الأرضية فيحتوي على شبكة كثيفة من المراوح المعترفة الصغيرة ، و تكون على شكل خطوط مستقيمة .أما المستوى الثاني فهو عبارة عن حلقات من الأغصان الرفيعة، تتفرع منها مراوح طويلة يكون بعضها منتظم و ينتهيان بزهيرة رباعية الفصوص[1].

أما الجزء العلوي من الأروقة فهو مزين بنجوم ثمانية الرؤوس تكون داخل مربعات، بينما مضلعاتها يزينها زوج من المراوح الملساء المتقابلة تشكل زهيرات رباعية الفصوص .

- **زخارف عقود أروقة الجناح الغربي :**

تحتوي القاعة الجنوبية للجناح الغربي بمجموعة من الزخارف الأصلية ، حيث تتكون هذه الأخيرة من نجمة ثمانية الرؤوس تتوسط مربع و الأشرطة ، لأربعة المشكلة لتلك النجمة بفضل تقاطعها حيث تمتد هذه الزخرفة لتكسو مساحة مستطيلة ، المساحات المحصورة بين تلك الأشرطة مكسرة بمراوح مخرفة ثنائية الفصوص و تكون متقابلة . و تكون هذه الأشرطة مزينة بالخط النسخي ، أما بالنسبة للقبو فهو مزين بشبكة من المعينات الهندسية البسيطة[2].

أما بالنسبة للرواق الغربي فهو مزين بشبكة من المعينات الهندسية البسيطة حيث يشبه في زخرفته القبو القاعة الجنوبية . و ينتهي بمجموعة من المربعات النجمية البسيطة ، أما بالنسبة للقبو فهو مزين بشبكة من المعينات البسيطة المشكلة

[1] نفس المرجع السابق ،212.
[2] نفس المرجع السابق ،ص 213.

بواسطة المراوح النباتية حيث تشبه قبو القاعة الجنوبية ، و لكن يوجد اختلاف في الزخرفة التي تتوسطها ، و هي عبارة عن زهيرة ثلاثية الفصوص .

2- مسجد سيدي أبي مدين:

أسس المسجد من طرف السلطان المريني أبو الحسن علي و هذا ما تدل عليه الكتابات الموجودة بالمسجد ، أبرزها كتابة من الزليج تقع فوق بوابة عقد المسجد حيث جاء فيها " الحمد لله وحده أمر بتشيد هذا الجامع المبارك لمولانا السلطان عبد الله على ابن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان ابن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق أيده الله و نصره عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة نفعهم الله به " و ترتكز أهمية هذه الكتابة في ذلك الاسم الكامل لمؤسس المسجد و نسبه و تاريخ البناء و التشييد و هو سنة 739هـ/1338م .[1] (صورة10)

- **مخطط المسجد**:

يتخذ المسجد تشكلا مستطيلا حيث يبلغ طوله 4528م و عرضه حوالي 17.40م تحتوي بيت الصلاة التي يبلغ طولها 19م و عرضها 15م على خمسة أجنحة حيث تقسم هذه الأخيرة قاعة الصلاة بسلسلة من العقيدات المتعامدان ، حيث يبلغ عرض الأجنحة 3.10م باستثناء الجناح الرئيسي الذي يبلغ 3.5م ، أما الأقواس فمحمولة بواسطة عقدات ، أما المحراب فتعلوه قبة و بجانبه باب لحجرة الأموات.

للمسجد ثلاثة أبواب ، بابان جانبيان يفتحان في بيت الصلاة حيث يصيلان بين قاعة الصلاة و خارجها ، أما الباب الثالث فيقع في محور المحراب .

[1] نفس المرجع السابق ،ص98.

يوجد بالجدار الغربي باب صغير لغرفة كبيرة لاستقبال الزوار ، أما في الجدار الشرقي فيوجد أيضا باب يؤدي إلى قاعة الوضوء الموجودة في المستوى السفلي للمسجد و يؤدي أيضا إلى قاعة التدريس الموجودة في المستوى العلوي ، و تقع المئذنة في الجهة الشمالية الغربية للمسجد .

و يوجده في الجانب الشرقي الغربي ممر يؤدي إلى ما يسمى بالخلوة و يوجد في الغر ب مدخل هذه الخلوة و يكون على شكل قبة مضلعة[1].و بمرور الزمن أصبحت الصحور المتهدمة معيقة للمشي . كما أنهاره عقود و دعامات هذا المبنى ،ثم قامت إدارة المعالم التاريخية بإصلاحات لهذه الخلوة حيث إعادة بناء الدعامات الجهة الشرقية و نطف الممر من الصخور.(الشكل4)

-زخر فة المسجد : زخرفة البوابة

يتميز مسجد سيدي أبي مدين بزخارفة الجصية . فالزخارف المنحوتة على الجص تكسو تقريبا جميع الجدران الداخلية لبيت الصلاة . أما بالنسبة للبوابة فهي أحسن مثال عن البوابات في عمارة الغرب الإسلامي من حيث زخرفتها و تهميمها ، حيث يتميز الزليج بألوانه الباردة مع الجص بلونه المصفر.و تتصف زخرفة واجهة البوابة بالزليج المورق كمادة أساسية في زخرفتها، و تقوم الزخرفة على عقد حد ومي يقوم على دعامتين جدارتين تفصل بينهما مسافة 3م ، بينما يبلغ ارتفاع العقد على مستوى الأرض بحوالي 7م ، حيث يؤطره إطار مكون من ثلاثة أشرطة من ثلاثة أشرطة من الأجر ويعلوه إفريز كتابي من الزليج ، تحته مباشرة إفريز

[1] وليم و جورج مارسي، نفس المرجع السابق ،ص 339.

عريض مزين بأشكال هندسية من الأجر. و يعلو البوابة ظلة يعظيها القرميد الأخضر.[1]

إن تصميم زخرفة فتحة العقد يشبه المعينات حيث تتشكل بواسطة مراوح طويلة قاعدتها سوداء و نهايتها خضراء، و يوجد مراوح تنائية الفصوص بيضاء و تكون داخل المعين ، و أخرى بنية، و زهيرة ثلاثية الفصوص على أرضية سوداء. أما بالنسبة لزخرفة كوشة العقد فيختلف تصميمها على التصميم السابق حيث يكون اللون الأبيض كأرضية تتوزع عليها العناصر الزخرفية ، حيث تتمثل في أغصان رفيعة و ملتوية باللون الأسود و تتفرع منها مراوح ذات لونني ناو ثلاثة ألوان (اخضر . بني). إن المراوح المستعملة في الزليج تختلف عنها في المراوح الموجودة في الجص ، حيث تكون ذات فصوص غليظة و متوازية. ينتهي هذا العقد بإفريز كتابي محصور بشريطين من الأجر ، أما النص الكتابي فهو اسود اللون على أرضية بيضاء بالخط النسخي.[2] (صورة11)

- **زخرفة المحراب:**

تصميمه مضلع ، و استمد زخرفته من زخرفة محراب مسجد آبي الحسن.

هذا المحراب يفتح بعقد نصف دائري و يقوم على عمودين من الرخام ، تيجانها مزينة بنص كتابي ، تزين فتحة العقد مراوح ملساء ، أما بالنسبة لزخرفة كوشة العقد المحراب فهي تتمحور حول محارة لولبية بارزة حيث تلتف حولها أغصان

[1] د.محمد لخضر العولمي ، نفس المرجع السابق ،ص 100.
[2] نفس المرجع السابق ، ص 101.

نباتية و مراوح معرفة ثنائية الفصوص ، تعلو هذا العقد ثلاثة تسميات يحيط بها أيطار كتابي بالخط النسخي ، عند مستوى بداية العقد المحراب و على جانبه إفريز كتابي بالخط الكوفي . و تزين أضلاع حنية المحراب عقود صماء طالبة من أي زخرفة ، أما العقود التي تحمل القبة أمام المحراب فهي مزينة بشبكة من المراوح الملساء ثنائية الفصوص.[1] (صورة12-13)

- **العقود:**

إن سرايا و بطلات بيت الصلاة تحدها عقود تقوم على ركائز ، و تكون مزينة بزخارف منقوشة على الجص و هي عبارة عن شبكة من المراوح الملساء ثنائية الفصوص ذات انحناءات ، بينما كوشة العقود فزخرفتها ذات تصاميم متنوعة ، إن ابسط هذه التصاميم يزين العقد الأول و الثالث للبلاطة الوسطى أما البلاطات الرابعة و الخامسة فهي بنفس التصميم المستعمل في الجدر ان الجانبية لبيت الصلاة و لكن بشكل معقد.[2] التصميم الثاني فهو امتداد للتصميم الأول و يكمن الاختلاف في إضافة عقود نصف دائرية تتقاطع مع تلك المراوح ، و أيضا في تقنية النحت فالتصميم الثاني فهو أكثر عمقا. التصميم الثالث يختلف عن التصميم الأول و الثاني ، فهو منحوت على مستويين ، المستوى الأول مكون من المراوح المعرفة الصغيرة تشكل أرضية نحت فوقها زخارف المستوى الثاني ، أما المستوى الثاني فيكون من زهيرات ملساء ، وتكسو بقية العقد مراوح كبيرة ثنائية الفصوص . أما بالنسبة للتصميم الأخير تزينه كتابة النسخى تحيط بها زهيرتان

[1] نفس المرجع السابق ، ص 104.

[2] نفس المرجع السابق ، ص 105.

كبيرتان و نهايتهما تلتصقان لتشكلا زهرة صغيرة. يعلو العقود إفريز مزين بزخرفة هندسية تكون أما نجوم ثمانية الرؤوس آو مستطيلات نجمية تزينها مراوح صغيرة متقابلة .[1] (صورة14)

- **المئذنة:**

تتموضع المئذنة في الزاوية الشمالية الغربية للمسجد حيث تتكون من برجين ، برج ر ئيسي مربع الشكل ، يعلوه برج صغير و هو الجوستف.[2]

تتميز الواجهتين الشمالية و الغربية للبرج الرئيسي ، من لوحة سفلية تضم عقدا زخرفيا ، تعلوه لوحة واسعة تكسوها شبكة من المعينات الهندسية ، بينما الواجهتين الجنوبية ، الغربية اقتصرت على شبكة من المعينات الهندسية فقط . تقوم زخرفة الواجهتين الشمالية و الشرقية ، بلوحة مربعة يتوسطها عقد يتكون من ثلاثة ضفائر تتقاطع لتشكل عقد مفصص، يتناوب فيه كل فص دائري مع فصين منكسرين ،و يحتضنه عقد ثان مشكل من معينات ، أما الواجهة الغربية فهي مزينة بلوحة يتوسطها عقد مفصص مكون من ضفيرتين متقاطعين ، تشكلان فصوص دائرية ، و الفراغ الموجود بين الضفيرتين مزيين بقطع من الزليج الأخضر.أما الجهة الجنوبية تكسوها شبكة من المعينات بينما الواجهة الغربية تكسوها شبكة من المعينات الغربية و هي مشكلة من ضفائر تتكون من خطوط منحنية ، حيث تتقاطع فيما بينها لتشكل شبكة من العقود حدوية.أما بالنسبة لنهاية

[1] نفس المرجع السابق ، ص 106.
[2] نفس المرجع السابق،ص 106.

البرج الرئيسي ، فهو مزين بإفريز من الزليج مكون من ثلاثة أطباق نجمية كاملة و ينتهي البرج بشرفات مكسوة بالزليج ، مكون من نجمة ثمانية الرؤوس سوداء في الوسط ، و ربع نجمة في الزوايا الثلاثة للمثلث الذي يشكل للشرفات .[1](صورة15)

أما الجوسق ، فهو مكسو كليا بالزليج ، واجهاته الأربعة مكونة من إطار بارز تحيط بمساحة مستطيلة ، حيث يكون الايطار مزين بأشكال هندسية و هي عبارة عن أطباق نجمية صغيرة أن 12 رأس ، المساحة الوسطى مزينة بمعينات من الآجر و أرضيتها مكسوة بالزليج حيث يشكل زهيرات رباعية الفصوص.[2] صورة

3- ضريح سيدي أبي مدين:

- **دار السلطان:**

يوجد فوق باب أبي مدين شرعة خشبية يرجع تاريخها إلى عهد الأتراك و عند يساره يوجد باب عريض يؤدي إلى دار السلطان و هي عبارة عن مجموعة إطلال دراسة لكن رسومها لا تزال بارزة تدل عليها وجدان مخربة لازلت تحتفظ في جهاتها بزخارف جصية و أروقة ذات أقواس.[3]

[1] نفس المرجع السابق،ص 107.
[2] نفس المرجع السابق،ص 106
[3] الحاج محمد رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف محاضر تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، الجزء الأول ، دوان المطبوعات الجامعية .2011 ص 241.

- **الضريح:**

و عند الخروج من دار السلطان فانه يوجد فناء طويل مفروش بمربعات من الرخام ينتهي في واجهته الشرقية باب من الخشب و في الزاوية الغربية من هذا الفناء يوجد باب دار المقدم آو وكيل الضريح و في وسط الفناء ، مدرج يصعد منه إلى الجامع يقابله الضريح الذي ينزل له بواسطة إدراج و هو عبارة عن باب صغير ذو قوس منكسر يحيط به ايطار من الفسيفساء أو الزليج مختلف الألوان .[1] أما عند النزول فيوجد على يمين الباب مقبرة صغيرة تضم علماء من أهل تلمسان ثم يوجد صحن مربع الشكل تحيط به أروقة و سقفه عبارة عن قبة محمولة على قناطر عملها أربعة أعمدة ذات تيجان ، و ارض هذا الصحن و أسفل جدرانه كلها مكسوة بفسيفساء أو الزليج ذو ألوان براقة و على يسار الباب يوجد بئر عميق ذات مياه عذبة ، ويوجد على يمين الباب باب الضريح و يوجد حواش رسمت عليها خطوط عربية حيث جاء فيها و أما داخل الباب فهو عبارة عن بيت مربع يعلوه سقف ملون و مقسم إلى اثني عشرة صفحة و أما خارجها فهو سطح هرمي الشكل ذو أربعة أوجه مغطاة بالقرميد الأخضر الجميل و يوجد أربعة نوافذ و ذلك لدخول الضوء أما الضريح الذي تحدثنا عنه فقد شيده الخليفة الناصر بن المنصور الموجود بعد وفاته كانت عام 594هـ/1197م.[2] (صورة16)

[1] الحاج محمد رمضان شاوش ، نفس المرجع السابق ،ص241.
[2] نفس المرجع السابق ، ص 242.

الخـــــــاتـــمـــة

الخاتمة:

شهد الغرب الإسلامي خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر ميلادي انهيار الإمبراطورية التي أسسها عبد المؤمن و نفككها إلى عدة إمارات ، مما ولد صراع بين هذه الإمارات ، و رغم هذا الإخفاق السياسي الذي منيت به مملكة بني مدين فقد شهد عصرها ازدهار الحضارة العربية الإسلامية التي ترسخت بالمنطقة ، خاصة في مجال الفن و العمارة ، حيث شهد هذا العصر تطورا في فن العمارة الإسلامية و فن الزخرفة حيث شهدت هذه الأخيرة تطورا كبيرا ، فأصبح تنفرد و تتميز عن بقية فنون العالم ، و هذا لفن الذي أصبحت تعرف به منطقة تلمسان منذ ذلك التاريخ و الذي يعرف بالفن المغربي الأندلسي .

ملحق الأشكال

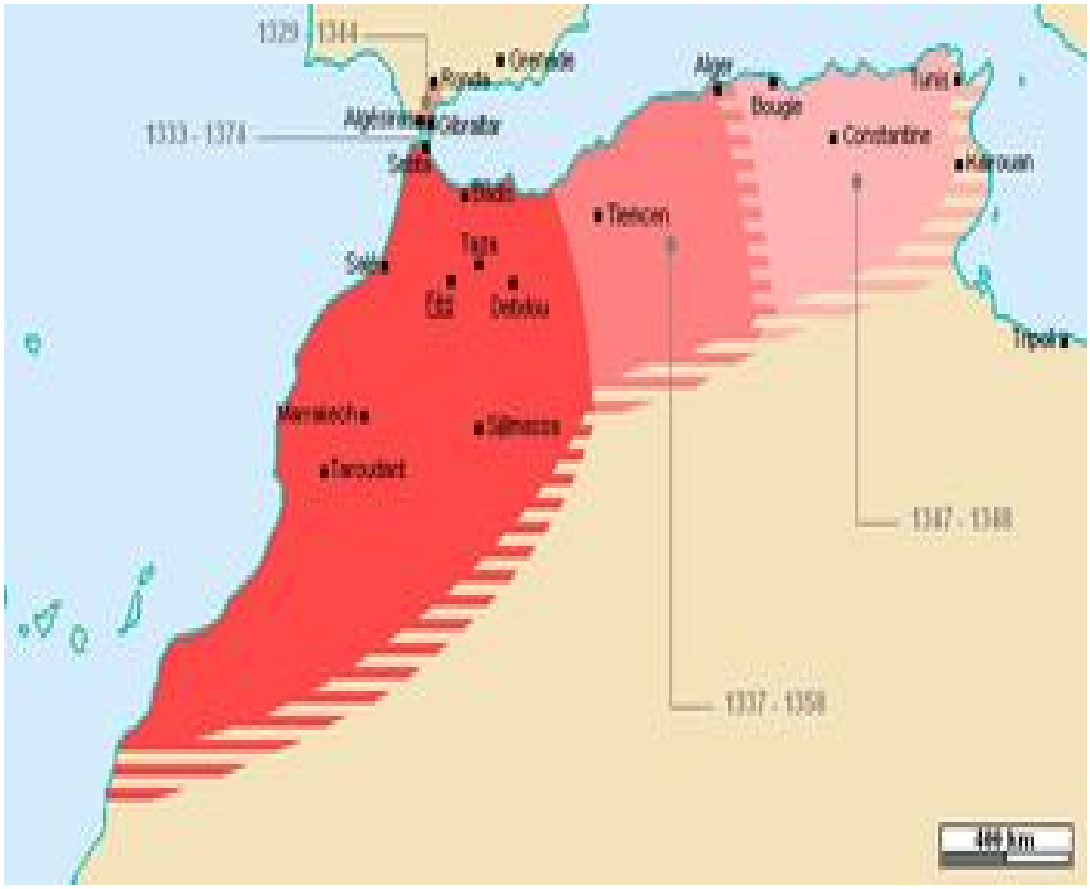

الشكل 1: يمثل الموقع الجغرافي الذي احتلته الدولة المرينية

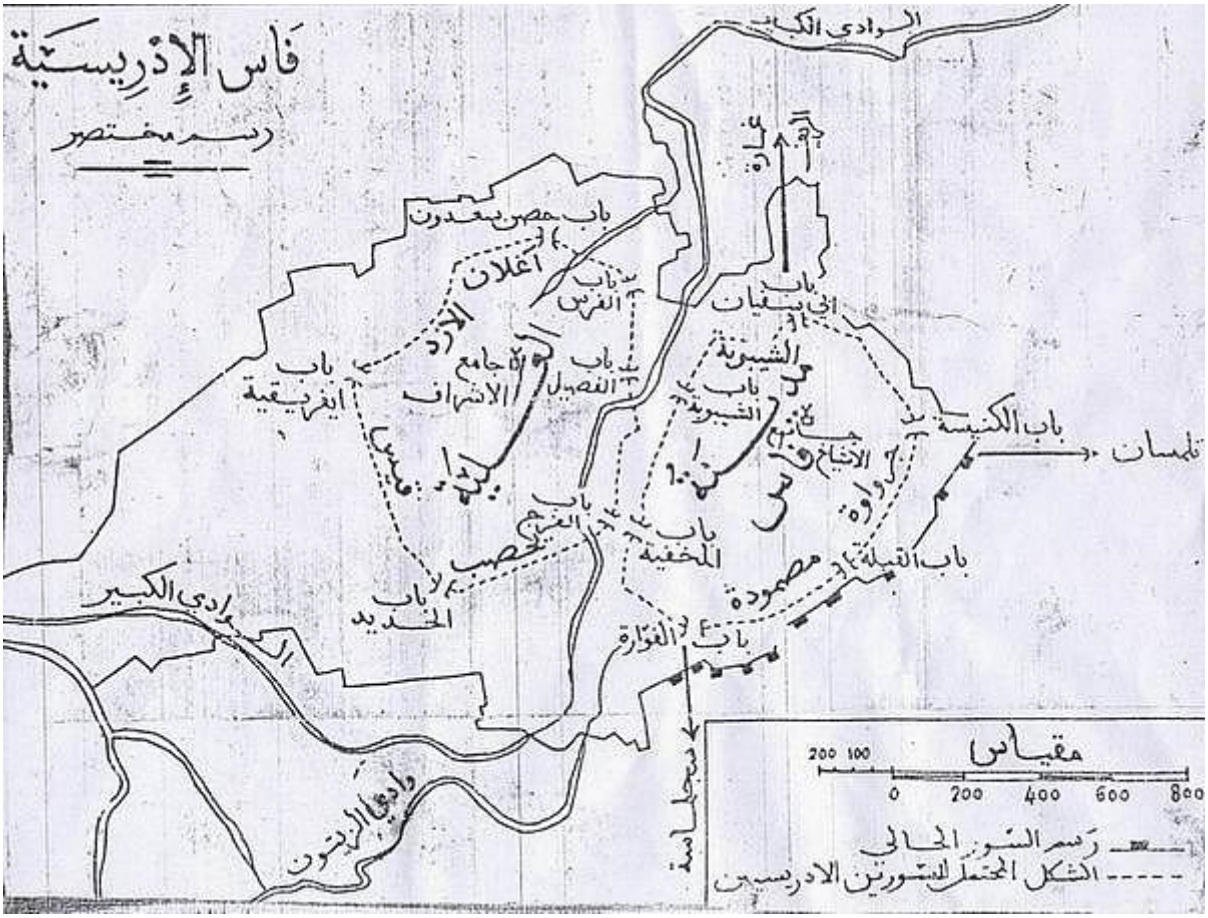

الشكل 2: يمثل موقع مدينة فاس.

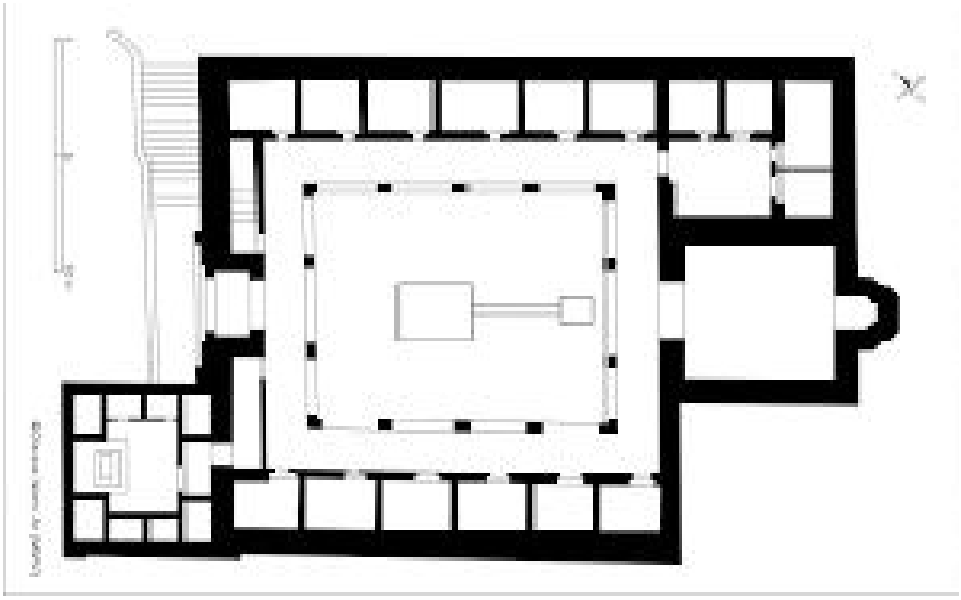

الشكل 3: يمثل مخطط مدرسة العباد.

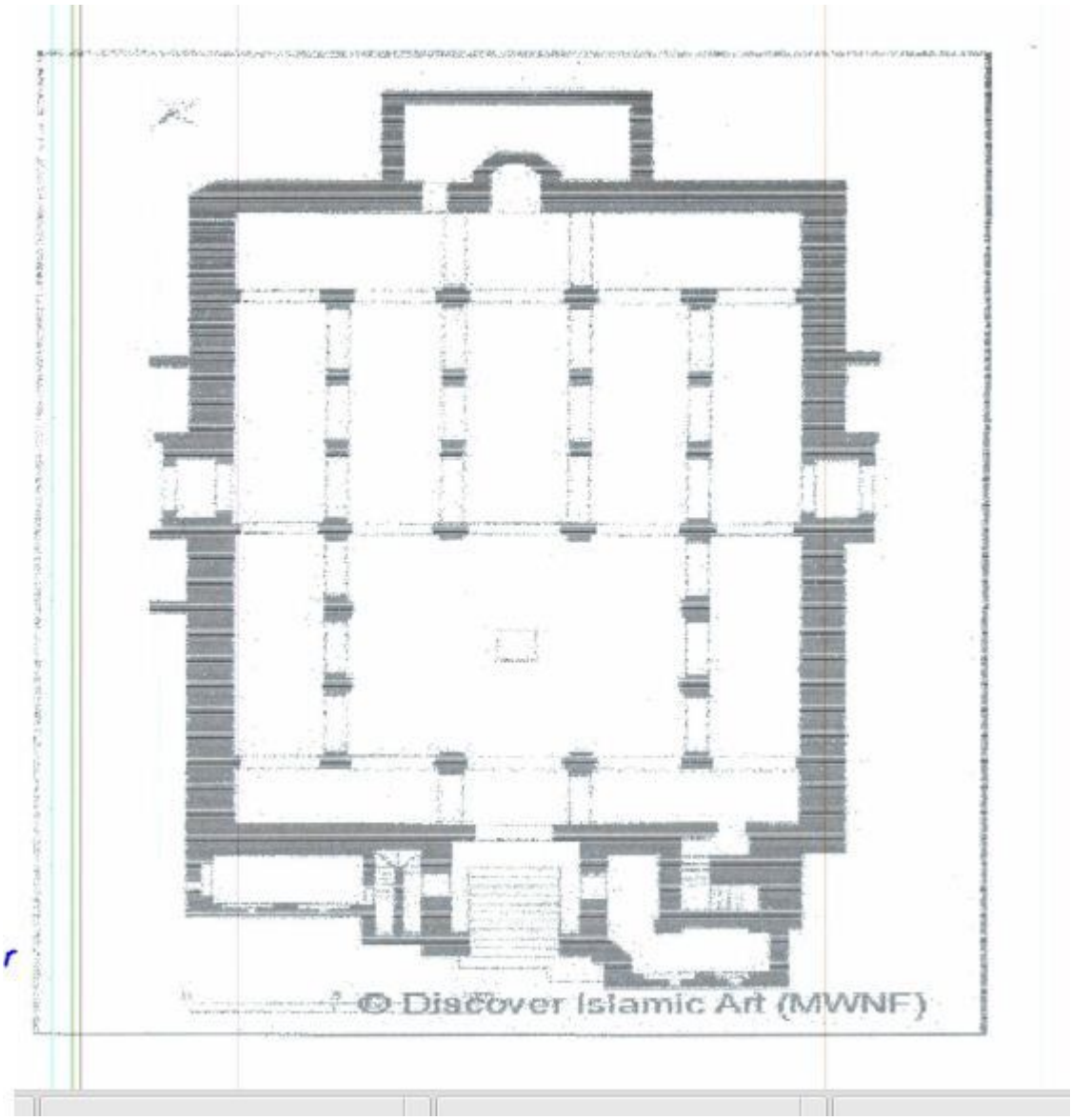

شكل 4: يمثل مخطط جامع سيدي بومدين

ملحق الصور

صور ة 01: تمثل صحن مسجد إسلامي

صورة 2: تمثل محراب المسجد

صورة 3: تبين الزخرفة الكتابية على الجدران

صورة4: تمثل زخرفة نباتية

صورة5: تمثل الجامع الكبير بفاس

صورة6:تمثل صورة من داخل مدرسة العباد

صورة 7: تمثل باب مدرسة العباد

صورة 8: تمثل زخرفة الجصية

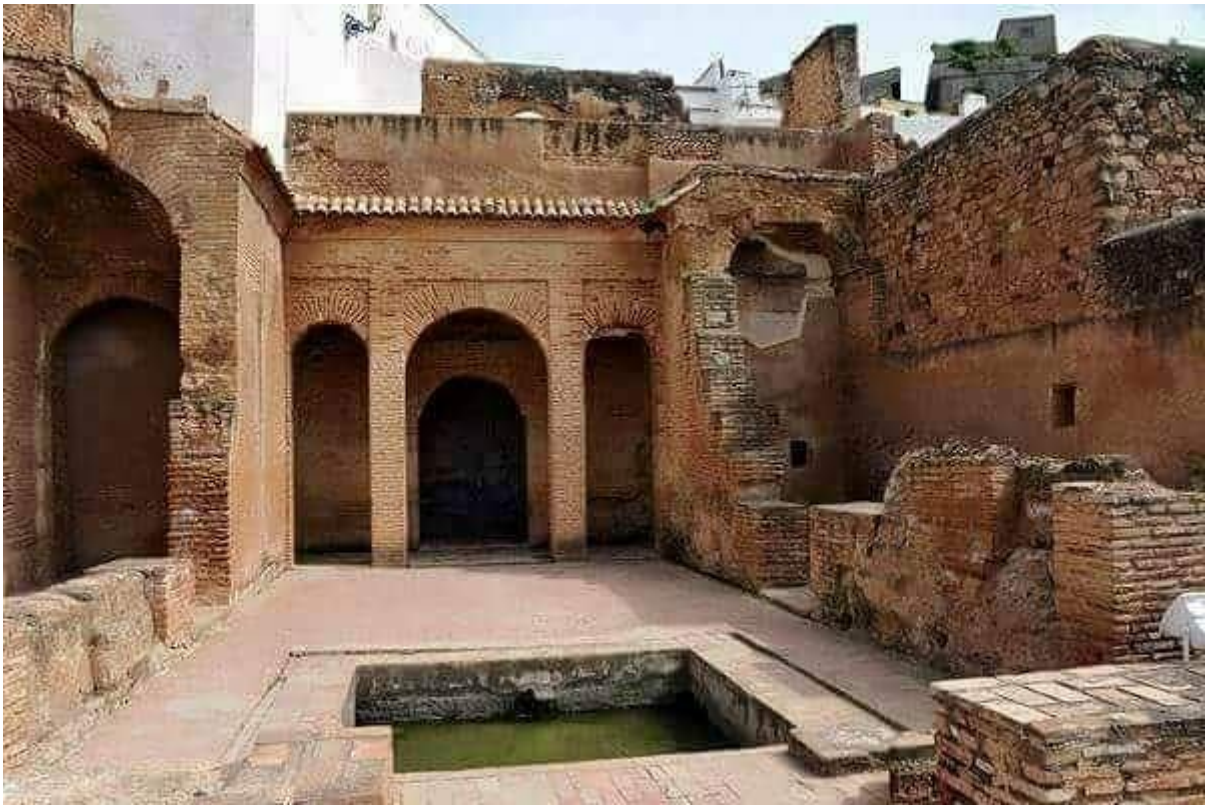

صورة9: قصر العباد الجناح الغربي

صورة 10:بوابةمسجد سيدي بومدين

صورة11: تبرز زخرفة باب المسجد

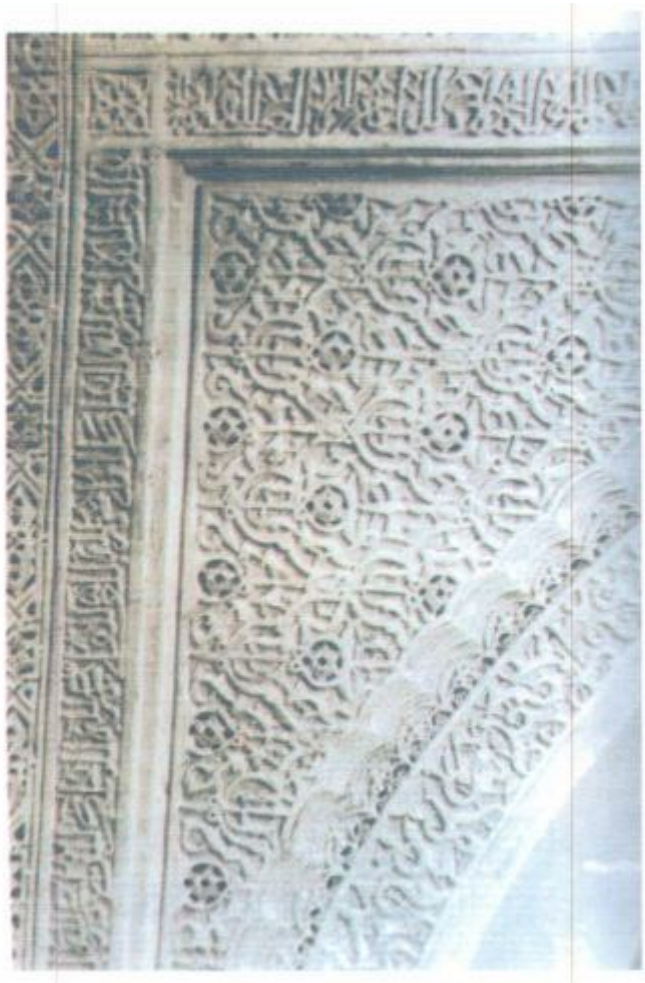

صورة12:تمثل زخرف المحراب

صورة 13:تمثل قبة المحراب

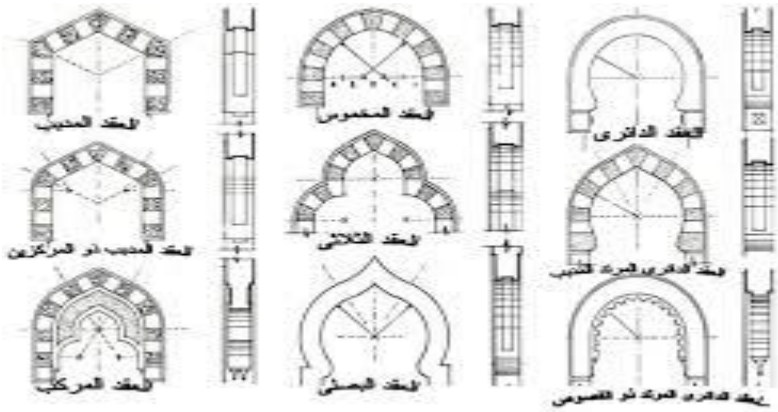

صورة14: تمثل انواع العقود الاسلامية

صورة 15: توضح مئذنة سيدي بومدين

صورة16 :ضريح سيدي بومدين

قائمة المراجع والمصادر

قائمة المصادر و المراجع

الرقم	المصدر أو المرجع
01	القران الكريم
02	الحديث النبوي
03	ابن المنظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، طبعة 3 ، سنة 1414هـ
04	العمارة الدينية بالمغرب العربي، رسالة دكتوراه دولة ، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
05	احمد موسى ،الفن المصري ،مجلة الرسالة ،العدد192.
06	أرنست كونل، الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، دار الصادر، بيروت، ط02، سنة1966م
07	إسماعيل بن حماد الفرابي ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العرب ، جزء 2 ،دار الملايين ،بيروت ،طبعة 4، 1987
08	بلحاج معروف، العمارة الإسلامية مساجد ميزاب ومصلياته الجنائزية، دار قرطبة، الجزائر، ط01، سنة 1428هـ/ 2007م
09	الناصري أحمد ،استقصاء اخبار دول المغرب الاقصى، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، الجزء الثاني
10	تقي الدين الدقيقي المصري ، اتقاق المبانى و اتفاق المعاني ،دار غمار، الاردن ،طبعة1 ،1985م.
11	ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط01، سنة 1944

12	نجوى عثمان، مساجد القيروان، دار عكرمة، دمشق، سنة 2000م
13	بن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972،
14	عبد الله بن عبد القادر ،المطلوب لمشاهير أوليتء المغرب دار الامان،الرباط ، طبعة 4، 2003.
15	عبد الواحد المراكشي ،المعحب في تلخيص أخبار العرب ،دار البيضاء ،طبعة 7.
16	عبد القادر زمامة، أبو الوليد بن الاحمر ،دار المغرب للتاليف و الترجمة و النشر ، دار البيضاء ،1979
17	عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة اسلامية.
18	عفيف بهنسي، فن الإسلامي في بداية تكونه، دار الفكر، ط01، سنة 1413ه/1983م
19	عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج01 ، ط01، سنة 1992
20	عكاشة، العامرات الإسلامية، مصر، بردي للنشر، الجيزة، سنة2008م
21	عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر بيروت لبنان، جزء السابع ،سنة 2000م
22	محمد المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، جامعة عبد الملك السعدي،المغرب
23	محمد بن أحمد الأزدي الهروي ، تهديب اللغة ،جزء 2 ،دار إحياء التراث

	العربي ، بيروت ،طبعة 1 ،2001.
24	سليمان القرشي،ديوان أبي مدين شعيب الغوث،ط1، 2002،كتاب ناشرون، بيروت لبنان
25	المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج02، القاهرة، سنة 1948
26	محمد نويصر، الآثار الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، سنة 1997
27	ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط2 ، 2006
28	المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية، مصر.
29	صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي ، دار العلم ، دمشق، ط01، سنة 1410ه/1990م
30	كريشي أرنولد بيجز، تراث الإ ّ سلام في الفنون الفرعية والتصوير، ترجمة: زكي محمود ، دار العر بي، دمشق، ط01، سنة1984.
31	محمد حسين جودي، العمارة السلامية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان،طبعة01، سنة 2007
32	عبد المعطي محمد ، الابداع الفني وتذوق فنون الجميلة ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية
33	مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، القاهرة.
34	محمد بن محمد الحسيني، تاريخ العروس في الجوهر القاوس، ج13، دار الهداية، بيروت.
35	علي بن سيده المرسي، المحكم و المحيط الاعظم ،ج02، دار المكتبة العلمية

	، بيروت ، طبعة 1، سنة 2000م.
36	هاني محمد القحطاني ،مبادئ العمارة الاسلامية و تحويلاتها المعاصرة ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،طبعة01 ،2009م.
37	وليم مارسي ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان ، الطبعة الأولى ، شركة الأصالة للنشر و التوزيع ، الجزائر العاصمة ، 2011
38	محمد بن رضان شاوش باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بني زيان ،جزء 1، ديوان المطبوعات الجامعية.
39	محمد الخضر عولمي، الزخرفة المعمارية الاسلامية ،دار النعمان لطباعة و النشر.
40	نور الدين السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، سنة 1419ه
41	ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج02، دار الصادر، بيروت، ط02، سنة 1995
42	Phlilippe Bouden, Architecture et Architecturelogie, ParisK 1975,

الفهرس

1-فهرس الاشكال:

الشكل	الصفحة
الشكل 1: يمثل الموقع الجغرافي الذي احتلته الدولة المرينية	65
الشكل 2: يمثل موقع مدينة فاس.	66
الشكل 3: يمثل مخطط مدرسة العباد.	67
الشكل 4: يمثل مخطط جامع سيدي بومدين	68

2- فهرس الصور:

الصورة	الصفحة
سور ة 01: تمثل صحن مسجد إسلامي	70
صورة 2: تمثل محراب المسجد	71
صورة 3: تبين الزخرفة الكتابية على الجدران	72
صورة4: تمثل زخرفة نباتية	72
صورة5: تمثل الجامع الكبير بفاس	73
صورة6:تمثل صورة من داخل مدرسة العباد	73
صورة 7: تمثل باب مدرسة العباد	74
صورة 8: تمثل زخرفة الجصية	74
صورة9: قصر العباد الجناح الغربي	75
صورة 10:بوابةمسجد سيدي بومدين	76
صورة11: تبرز زخرفة باب المسجد	77
صورة12:تمثل زخرف المحراب	78
صورة 13:تمثل قبة المحراب	79

صورة14: تمثل انواع العقود الاسلامية	79
صورة 15: توضح مئذنة سيدي بومدين	80
صورة16 :ضريح سيدي بومدين	80

3- فهرس الموضوع:

الموضوع	الصفحة
الشكر و التقدير	أ
الإهداء	ب
المقدمة	ث
الفصل الاول: ماهية العمارة الاسلامية و خصوصياتها	9
- ماهية العمارة	9
- نشأة العمارة الإسلامية	16
- خصوصيات العمارة الإسلامية	22
الفصل الثاني : العمارة المرينية	30
- انشار و إنشاء الدولة المرينية	30

- نسب نبي مرين	35
- العمارة المرينية	37
الفصل الثالث : مسجد سيدي بومدين	47
- مدرسة و قصر العباد	48
- مسجد سيدي بومدين	54
- ضريح سيدي بومدين	60
الخاتمة	63
ملحق الأشكال	64

ملحق الصور	69
المصادر و المراجع	81
الفهارس	85
- فهرس الأشكال	86
- فهرس الصور	87
- فهرس الموضوع	88

الملخص

ملخص:

شهد الفن الإسلامي في عهد بني مرين تطورا ملحوظا اعتمادا على الموروث الفني للموحدين خاصة في مجال الفن الزخرفة المعمارية, حيث تمكنوا من إيجاد أسلوب جديدا في زخرفة عمائرهم من حيث المواد المستعملة و التصاميم و التركيبات الزخرفية, تحددت ملامحه و شخصيته نهائيا في عهدهم و بلغ أرقى مستوياته، و هو الأسلوب الذي يطلق عليه عادة مصطلح الفن المغربي الأندلسي و الذي أصبح علامة مميزة للفن الإسلامي في المغرب الإسلامي و الأندلس منذ القرن الثالث عشر إلى يومنا هذا و تميزه عن فنون بقية الأقاليم الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: العمارة ، العمارة الإسلامية ، دولة بني مرين، العمارة المرينية ،مسجد سيدي بومدين .

Résumé :

L'art islamique à l'époque de Bani Marin a connu un développement remarquable fondé sur le patrimoine artistique des Almohadistes, en particulier dans le domaine de la décoration architecturale: ils ont pu trouver un nouveau style dans la décoration de leurs bâtiments en termes de matériaux, de dessins et de structures décoratives. , Qui est généralement désigné comme l'art andalou de l'Andalousie, qui est devenu un trait distinctif de l'art islamique dans le Maghreb islamique et en Andalousie depuis le XIIIe siècle à nos jours. Il se distingue de l'art des autres régions islamiques.

les mots clés: Architecture, Architecture islamique, Etat du Béni Marin, Architecture marinite, Mosquée Sidi Boumediene.

Summaly :

The Islamic art of the Bani Marin era has undergone a remarkable development based on the artistic heritage of the Almohadists, especially in the field of architectural decoration: they have been able to find a new style in the decoration of their buildings in terms of materials, drawings and decorative structures. , Which is generally referred to as the Andalusian art of Andalusia, which has become a distinctive feature of Islamic art in the Islamic Maghreb and Andalusia from the thirteenth century to the present day. It differs from the art of other Islamic regions

keywords: Architecture, Islamic Architecture, State of Beni Marin, Marine Architecture, Sidi Boumediene Mosque.